HARLEQUIN

روايات احلام

تحلمين!

شارلوت لامب

www.elromancia.com
مرمورية

تحلمين!

شارلوت لامب

أحبت غابرييل طوال عمرها كايل ... ثم اكتشفت قبل الزفاف بأيام أنه يحب أفضل صديقاتها، وانهار عالم أحلامها...

... وبقي لها من حطام روحها كبرياؤها ... لا يمكنها أن تحب من ليس لها، وكايل لم يعد لها ... لذلك، عليها أن تعلمه بقرارها التخلي عنه من أجل حبيب آخر، ثم ترحل بعيداً، وهذا ما فعلته...

لكن لسبب لم تفهمه، لم تكن هذه هي النهاية بالنسبة لكايل تايسون...

www.liilmanga.com

١ ـ الخيانة

بعد ربيع بارد مرير، جاء الصيف فجأة. . . وتحولت الغيوم المكدسة في السماء إلى زرقة حارقة، وأخذت الشمس تشرق دون توقف يوماً بعد يوم، وتفتحت مساكب الورود الغنّاء.

كانت غابرييل سمرفيلد تقفل مكتبة القرية في الساعة السادسة في هذا الطقس الصافي، وتسير نزولاً عبر الممر الذي يقود إلى البوابة الموصلة إلى حقل «تري ايلمز فيلد». . كانت طيور السنونو ترفرف فوق بركة القرية، وتوقفت غابرييل عند البوابة لحظات تراقب حركاتها البهلوانية.

سمعت هدير محرك تعالى فوق سقسقة الطيور الجميلة، فأدارت رأسها لترى سيارة، وأسرعت تقفز إلى الأمام ملوحة بيديها بقوة. . لكن السائق كان ينظر إلى الأمام مباشرة. . وفي لمحة بصر، ابتعدت السيارة واختفت. . وقفت غابرييل تحدق وراء السيارة. . تشعر بالألم وخيبة الأمل وكأنها طفلة، ثم هزت كتفيها. . لم يرها كايل، وإلا كان سيتوقف. على أي حال، هذه أمسية رائعة للسير عبر الحقول، وسوف ترى كايل في ما بعد حين يأتي ليأخذها إلى السينما.

تسلقت بوابة الحقل، وبدأت السير نحو البيت. . لا شك بأن هناك الكثير مما يشغل فكره، خاصة وقد أصبح الآن مدير شركة «اليكترونيات تايسون» مع أن جدّه فيلبس تايسون، رئيس مجلس الإدارة المتقاعد، ما زال موجوداً يراقب طريقة إدارته للأمور بعين ثاقبة. وفيلبس رب عمل صعب، غلطة واحدة ويجد كايل نفسه في ورطة.

بالأمس فقط تهكم والدها ضاحكاً من إصرار فيلبس على معرفة كل التفاصيل.

ـ أنا آسف لكايل.. فالرجل العجوز فوق كتفيه أربعاً وعشرين ساعة يومياً.. على الأقل، نحن نتمكن من التهرب منه خارج ساعات العمل.. لكن كايل معه كل اليوم، وكل يوم.

خفق قلب غابرييل حين نظر إليها والدها، فأكمل سمرفيلد مبتسماً:

ـ حين تتزوجان يا حبيبتي، سأحاول إبعاد العجوز عنه قدر استطاعتي.

لم تصدق بعد أنها ستتزوج بكايل تايسون... كانت تستيقظ كل صباح ونبضاتها تتسارع للفكرة.

كان هناك صلة قربى بين عائلتي سمرفيلد وتايسون منذ أسست الشركة.. وكان لفيلبس تايسون أفكار لامعة في صناعة المعدات الاليكترونية.. ومع أن جوردان سمرفيلد كان صاحب رأس المال الأساسي، إلا أن فيلبس كان دائماً الشريك المسيطر.

لكن جوردان مات في سن الأربعين إثر نوبة قلبية، تاركاً لفيلبس أمر إدارة المؤسسة وحده.. وكما ورث تود سمرفيلد الأملاك عن أبيه، كذلك ورث عنه تلك الطبيعة الكسولة المطواعة.. فكان، مثل أبيه من قبله، قانعاً بإدارة فيلبس للعمل، الذي كان يقول بمرح لزوجته في أكثر من مناسبة، إنه ليس من معدن الإدارة.. فقد كان يأخذ دخلاً كبيراً من المؤسسة مقابل ساعات عمل قليلة كل أسبوع، وهو سعيد بهذا.

خفّ توتر زوجته منه كثيراً، مؤخراً، بسبب خطوبة ابنتها لكايل.. فقد كانت باولا سمرفيلد تطمع في أحفاد، ولقد أبهجتها غابرييل بهذا الخبر.

بالطبع، اجتمعت العائلتان معاً أكثر. ومنذ موت والدي كايل في حادث سيارة وهو صغير، أصبح منزل سمرفيلد المكان الوحيد الذي يستطيع فيه أن يتمتع بحياة عائلية طبيعية. وقد حكم كايل بسيطرة متعجرفة، كصورة عن جده، أولاد سمرفيلد كما يحكم الآن المؤسسة والمصنع.. لكن غابرييل، وهي ابنة أمها أكثر من أبيها، لم يكن لها شعر أحمر دون فائدة. كانت عيناها الخضراوان تشتعلان غضباً حين يضع كايل

القوانين، وتخرج عن طورها لتتحداه، بالرغم من فارق عشر سنين بينهما.. حين كانت في السادسة من عمرها، تسلقت شجرة تفاح ورفضت النزول. حينها صعد كايل لإنزالها.. وتستطيع الآن أن تتذكر أنه ضربها بقسوة.. وتتذكر كذلك أنها عضت يده انتقاماً.. وصاح كايل ثم حدق بها بغضب، ثم بدأ يضحك.. ونظرت إليه بذهول، ثم بدأت تضحك بدورها.. وحملها كايل تحت إبطه ليشتري لها «الآيس كريم»، وانتهى المشهد العنيف بسعادة.

حين بدأ كايل يتواعد مع الفتيات أحست كايل في سرها بالغيرة وأخذت تمازحه وتسخر منه. ثم ذهب كايل إلى الجامعة.. بعدها تركت غابرييل المدرسة وتدربت على إدارة المكتبات في لندن.. بدت لها لندن جديدة مثيرة لكنها أضجرتها.. فهي مدينة كبيرة جداً وبعيدة.. حين تأهبت للعودة إلى قرية «آبوت ميل» لإدارة مكتبتها الموجودة في كوخ ملحق بالكنيسة، أدارت ظهرها للندن دون ندم.

ولم تفهم أمها أسبابها.. «لماذا تدفنين نفسك هنا غابي؟ يمكنك العمل في أي مكان؟».

كانت باولا سمرفيلد تجد حياة الريف مملة.. وتتوق للعيش في المدينة.. لكنها كانت تحب زوجها رغم نفاد صبرها، الأمر الذي أبقاها في جو الرتابة الهادئة لقرية «آبوت ميل».

بعد عودتها بقليل، التقت غابي بكايل مجدداً.. وكان لقاءاً كشف عمى بصيرتها.. غريزة التملك التي جعلته متسلطاً على طفولتها، أصبحت مغلفة الآن بسحر وثقة بالنفس.. ووجدت نفسها مخطوبة له بعد ستة أسابيع.

أبهجت الخطوبة العائلتين وأدهشتهما.. وأحنى فيلبس وجهه العجوز المبتسم ليقبل غابرييل ويقول:

ـ لم أكن أظن أن للشاب مثل هذا الذوق والعقل. لن تسمحي له بأن يتحكم بعش الزوجية، أليس كذلك؟ وخصوصاً مع شعرك الأحمر.. خذي نصيحة مني.. ابقيه محتاراً.. إنه واثق كثيراً بنفسه.

أدهشته غابرييل بالقول:

ـ أنت تحب أن تراه ذليلاً.. أليس كذلك فيلبس؟

لم يكن يدعوه أحد سوى باسمه الأول برغم كبر سنه.. لكن من وراء ظهره كان يشار إليه بالرجل العجوز، ويعرف هذا طبعاً.

ركز عينيه اللامعتين عليها وقال:

ـ تعنين أن الرجل العجوز ممتعض من خليفته الشاب؟ هيه؟ حسن جداً.. ربما.. لكن من المفيد لكايل أن يهزّ أحد تصوره عن نفسه كرجل لا يُقاوم ولا يُهزم!

وضحكت له بمحبة:

ـ أوه.. إنه قطعة من الصخر.. فيلبس. وكلنا نعرف هذا.. فهل كانت زوجتك توقفك عند حدك وأنت شاب؟

تنهد:

ـ لا.. لا.. عزيزتي.. يا للمرأة المسكينة! كانت لطيفة كثيراً بالنسبة لي.. لهذا أنا مسرور لأن كايل سيتزوجك.. فالقليل من روح التمرد في المرأة، له تأثير كبير في الزواج.. ولن ينفع كايل أن يتزوج من فتاة تغسل له قدميه.

كان كايل متلهفاً لخطبة قصيرة.. وكانت غابرييل، بالرغم من رجاحة عقلها، متولهة حباً به.. لذلك كانت صدمة لها حين أصر والدها، ولأول مرة، على أن تنتظر سنة قبل الزواج. ورد كايل غاضباً:

ـ وما الفائدة؟ كأننا غريبان! نحن نعرف بعضنا منذ مدة طويلة!

قال فرد مبتسماً:

ـ أعرف عزيزي كايل، لكن غابي أصغر منك بعشر سنوات.. وأريد التأكد من أن هذا قرار سليم.

نظر كايل إليه ببرود.. متسائلاً في نفسه عما إذا كان يستخدم ابنته سلاحاً ضده.. فبالرغم من نقص الطموح الظاهر عند فرد، إلا أن كايل كان يلاحظ أحياناً بعض الامتعاض عنده.. على أي حال، إنه في المؤسسة

منذ ثلاثين سنة، وربما يتوقع استلام الإدارة من فيلبس.. ولم يستطع كايل أن يصدق أن أي رجل يمكنه الاستخفاف بهذا الوضع.. طاقته وطموحه أعمياه عن قناعة فرد.

حاولت غابرييل إقناع أبيها بأن يغير رأيه، لكنها وجدته لا يتزحزح وهذا أمر غريب منه.. خطر لها أن فرد وفيلبس تآمرا على هذا معاً. لكنها استبعدت الفكرة، ففيلبس كان سعيداً جداً بالخطوبة.. وبالتأكيد، لن يحاول وضع العراقيل في طريقهما.

لكن غابرييل لم تكن لتفكر أبداً في مخالفة رغبات والدها.. وحين برد غضب كايل، أقنعته بالموافقة على الانتظار.

لم يبق على موعد زواجهما أكثر من ثلاثة أشهر.. وقد بدأت السيدة سمرفيلد الإعداد للمناسبة بدأب، وأخذت غابرييل تشعر بالخوف.. فقد كانت أفكار أمها تبدو أضخم وأضخم كل يوم.. ولائحة المدعوين أصبحت كبيرة.

كان شعاع الأمل الوحيد هو فكرة أنها في النهاية ستكون زوجة لكايل.. لكن حتى هذه الشمعة الصغيرة من الأمل كانت تتحول أحياناً إلى عتمة، فكايل أصبح مشغولاً جداً مؤخراً.. ولم تكن تراه كثيراً.. فالمؤسسة مثقلة بالطلبات.. وكايل يعمل إلى وقت متأخر كل ليلة.. حين يلتقيان، كان يبدو مشغول البال نافد الصبر، وكأنه يجد صعوبة في النزول إلى مستوى تفكيرها. مزاجه كان سيئاً.. أحياناً كانت تتساءل عما إذا كان لا يزال يحبها أم لا.. وكان يبدو متباعداً، لا يكاد يعانقها في بعض الأحيان.

توقفت في سيرها، مستغرقة في أفكارها، تحدق إلى مجموعة من الأزهار القرمزية ترفع رأسها بجنون في الريح.

هذه الخطوبة الطويلة تؤثر على أعصابهما.. هذا كل ما في الأمر. جعلتهما متوترين نافدي الصبر.. وما إن يتزوجا، حتى يكون كل شيء على ما يرام.

تسلقت جدار حديقة المنزل، وسارت بين صفوف الخضار في الحديقة

تبدي الإعجاب بتعاريش الفاصوليا المرتبة على طول الجدار القرميدي الأحمر.. وسمعت شخيراً خفيفاً.

كان أخوها جوش مستلقياً في أرجوحة قديمة، وكتاب مفتوح فوق وجهه وإحدى ذراعيه ممتدة حتى الأرض.. من فوقه، كانت شجرة التفاح مليئة بالثمر الأخضر الصغير.

كان جوش يعمل في قسم المبيعات في شركة تايسون، وهو «سمرفيلد» أصيل.. تواق دائماً للتمتع بمباهج الحياة، بدلاً من إضاعة وقته بملاحقة النجاح.

تقدمت منه ورفعت الكتاب عن أنفه بلطف.. فرفع رموشه وضحك لها.

ـ مرحباً غابي! يوم حار آخر! ومن يريد العمل في يوم كهذا.. هل عدت سيراً مرة أخرى؟

كان جوش يشابه أباهما، شعر بني، عينان بنيتان، وبشرة ناعمة، لطيف ومستدير الوجه تقريباً. كان أكبر منها سناً، وقد عمل في المؤسسة بعد تركه المدرسة مباشرة، حيث لم يفلح في دراسته.. مع أنه كان بطلاً أسطورياً للعبة الكريكت في المنطقة، فقد كان شديد الدقة في التصويب ويستطيع إصابة الهدف بسهولة. ولم يكن مضطراً لصرف كثير من الطاقة لكسب الفوز لفريق مدرسته في اللعبة.

أدركت أمه بمرارة عميقة أنه لن ينجح في مدرسته، لهذا استقر في شركة تايسون، يمكن الاعتماد عليه، ولكنه ليس مميزاً. كانت غابرييل تحبه كثيراً، وابتسمت له الآن بمحبة ممازحة.

ـ أيها الكسول! هل أنت هنا طوال النهار؟

رد ببساطة:

ـ لا.. لساعة فقط.. ماذا ستفعلين الليلة؟ أيمكن أن تبقي في المنزل للعب «السكرابل»؟

قالت بمرح:

ـ آسفة.. سيأخذني كايل لحضور فيلم في «كانتر بري». يجب أن أسرع لأغير ثيابي قبل العشاء.

راقبها جوش وهي تسير إلى المنزل، ثم عاد إلى وضعيته الأولى متنهداً بارتياح.. وحامت حوله بضع ذبابات.. وهو يحلم بتكاسل.

وجدت غابرييل أمها في المطبخ تقطع البيض المسلوق والبصل، قبل خلطها مع «المايونيز».

رفعت السيدة سمرفيلد رأسها وابتسمت. كان المطبخ غرفة طويلة مشمسة، والنوافذ مفتوحة على الحديقة.. كان قط بلون المربى يتمشى على عتبة الباب، وخرّ بتكاسل حين حكت غابرييل ما بين أذنيه.

قالت مراقبة عينيه الخضراوين بينما هي تدعك رأسه:

ـ يبدو سيام مسروراً.

قالت الأم بحدة:

ـ سرق نصف علبة سردين.. يجب أن يبدو مسروراً طبعاً!

ـ أيها الولد الشرير!

نظر إليها القط كمن تلقى إهانة، وأدار رأسه بعيداً عن يدها، فسألت أمها:

ـ هل رأيت هذا؟ أنا واثقة من أنه يفهم كل كلمة أقولها!

نظرت إليها السيدة سمرفيلد نظرة تساهل:

ـ يبدو أنك تشعرين بالحر عزيزتي.. لماذا لا تصعدين إلى فوق وتأخذين دوشاً قبل العشاء؟

اختطفت غابرييل ضلع كرفس وهي تمر بالطاولة قائلة:

ـ هذا ما أنويه.

أخذت تقضم الكرفس وهي تصعد السلم مفكرة. شيء ما جعلها تقرر أن تسبب لكايل صدمة خفيفة هذه الليلة.. ربما تجبره على التفكير بها كأمر واقع.. لسوف تحاول أن تظهر بأبهى صورة، وتضطره إلى ملاحظتها مجدداً.

اختارت بعد الحمام، بهدوء واسترخاء، فستاناً جديداً كانت اشترته

لتوّها. كان طويلاً، من القطن الأخضر القاتم، قماشه من الرقة بحيث يصبح شفافاً أمام الضوء الباهر.. فتحة الياقة منخفضة، وطرازه بسيط جداً. شعرها الطويل الأحمر الحريري كان يلمع وهو مسترسل عليه، كاللهب.. حين رفعته في «شينيون» ربطته بشريط مخملي أخضر.

كان العشاء يكاد ينتهي حين رن جرس الهاتف، رفع الجميع رؤوسهم، ثم تجنبوا النظر بعضهم إلى بعض حين رأوا شحوب وجه غابرييل، ثم قفزت لتردّ.

قال لها كايل، بصوت حاد ومتباعد:

ـ آسف.. أنا مضطر للعودة إلى المصنع الليلة.. هناك عطل في قسم الترانزستور.. يجب أن نؤخّر مشاهدة الفيلم حتى الأسبوع القادم.

ـ فهمت.

ساد صمت قصير، ثم سألها:

ـ ماذا ستفعلين؟

ردت بخفة:

ـ أوه.. سأغسل شعري.. لا تقلق بسببي كايل.. سأسلي نفسي.

صمت مرة أخرى ثم قال:

ـ أجل.. أنا واثق من هذا.

بغضب وذهول أدركت أنه أقفل سمّاعة الهاتف. ثم صفقتها هي أيضاً بقسوة. أصبح التعامل معه مستحيلاً!

استدارت لتجد أمها تراقبها بقلق، وابتسامة مصطنعة ترتسم على وجهها، فقالت لها:

ـ إنه كايل.. سيعمل حتى وقت متأخر.

قطبت السيدة سمرفيلد:

ـ مرة أخرى؟ يبدو أنه لا يفعل شيئاً غير العمل حتى وقت متأخر هذه الأيام. يجب أن ترفضي هذا الوضع غابي.. أعرف أسرة تايسون.. العمل لديهم كالمرض.

ابتسمت غابرييل متسلية حقاً هذه المرة:

ـ أوه.. أمي! أنت تتذمرين دائماً لأن جوش لا يشبههم!

احمرّ وجه الأم.

ـ أجل.. لكن..! هناك حل وسط يسعد الجميع، لكن أسرة تايسون متطرفة في نمط حياتها. إذا لم يكن لديك ما تفعلينه، أعيدي الكتاب الذي أخذته من العمة آنيت..

ـ أوه.. بالطبع سأفعل.. أعرف كم تحب العمة آنيت أن تقرأ آخر القصص المثيرة.. لا أعرف لماذا تحب العجائز اللطيفات قصص الجرائم والتجسس؟

ـ ستقتلك العمة آنيت لو سمعتك تنعتينها بالعجوز.

ضحكت غابرييل، وانطلقت تحمل الكتاب تحت إبطها.. سارت عبر الحديقة مرة أخرى، تستدير يميناً لتأخذ طريقاً مختصراً يوصل إلى منزل عائلة تايسون.

كان جوردان وفيلبس قد بنيا منزليهما قرب بعضهما، على مكان مرتفع فوق وادٍ أخضر، على بعد بضعة أميال من المصنع. فيلبس بطموحه بنى بيتاً أكبر، صلباً كالجبل، وبه تناسق أنيق في النوافذ والأبواب. كان ينوي أن تسكن فيه العائلة الكبيرة التي كان يتوقعها.. لكن زوجته ماتت بعد بضع سنوات وهي تلد.. وبما أنه كان مشغولاً على الدوام، لم يتمكن من التفكير بالزواج مرة أخرى. هكذا كبر ولده وحده في هذا المنزل الضخم وربته عمّته، شقيقة فيلبس، آنيت، التي لم تتزوج أبداً.

لكن جوردان سمرفيلد كان أكثر تواضعاً في عمارته. كان منزله الصغير، ذو الغرف الأربع للنوم، مناسباً تماماً لعائلته الصغيرة. وكان يبعث في النفس إحساساً عائلياً حميماً يفتقر إليه منزل آل تايسون الذي يدعى «وايت برايز».

حين كانت غابرييل في العاشرة، كانت تصاب بالإثارة عندما تصل إلى «وايت برايز». وكانت ابنة أخت فيلبس كاثلين دولتون، التي ترملت بعد

www.elromancia.com

موت زوجها فجأة، قد اضطرت إلى طلب العون من فيلبس، فدعاها للإقامة معه ومع العمة آنيت.. وقبلت كائلين ممتنة، وأتت بابنها روبي البالغ اثنتي عشرة سنة يومها، وابنتها كريس، البالغة ثماني سنوات.

وحبت العمة آنيت بالولدين فقد كان كايل في الجامعة، ولم يكن المنزل يشغلها كثيراً.. وابتهجت بحلول أصوات صغيرة حولها.

كان الممر بين «وايت برايز» و «ميدوسويت» منزل سمرفيلد يكاد يتعرى مع ركض روبي وكريس، وولدي سمرفيلد عليه، عبر شجيرات بندق زرعها فيلبس بنفسه حين بنى المنزل، كانت تشكل حاجزاً طبيعياً بين الحديقتين.

كان هذا المكان ملعب الأولاد المفضل. ثم كبرت الأشجار لتبدو كالغابة، وامتلأت الشجيرات الشائكة بالتوت البرّي الأحمر اللذيذ في الخريف، وأخرى بيضاء بأزهار رقيقة في أيار، ونما السرخس بارداً أخضر على كلا الجانبين.

تذكرت غابرييل أنها كانت تختبىء مع روبي في أيام الصيف الحارة، يضحكان بصمت بين أغصان السرخس الطويلة.. بينما كان كايل يذرع الممر جيئة وذهاباً بحثاً عنهما لتوبيخهما على كسر مضرب التنس الجديد.. بعد أن يئس من العثور عليهما وذهب، استلقيا إلى الوراء، يحدقان إلى السماء الزرقاء عبر الأغصان الخضراء.. وغمر غابرييل الآن إحساس بالسعادة لا يوصف، كانت قد أحست به يومها في كل مكان حولها. تفوح من الأرض رائحة عطرة. الطيور تسقسق بجنون والحمام يهدل دون أن ترى مكانه.

كانت هي أول من أحسّ بعودة كايل يتسلل نحوهما بصمت، فقفزت واقفة تنادي روبي بأن يهرب.. لكن كايل أمسك به وانهال عليه ضرباً على قفاه.. استدارت لتعود إليهما لاهثة، ورمت بنفسها على كايل، تضربه بشراسة بقبضتيها صائحة به: دعه وشأنه أيها المتسلط! حين توقف مذهولاً استمرت تصيح: ما حصل كان حادثة! لم نقصد أن نكسر مضربك

السخيف! وقلنا لك إننا آسفان.

وترك كايل روبي، وهو لا يزال يحدق بها، ثم ضحك ضحكة غريبة، وابتعد.

لطالما كان روبي حليف غابرييل الرئيسي ورفيقها. كانا ولدين نشيطين وخياليين.. وكانت كريس تميل إلى السمنة، دائمة النعاس، وتبكي لوخزة شوكة، أو إذا تعثرت بكومة تراب.. كانت عادة تبقى مع جوش وتلعب معه ألعاباً أكثر هدوءاً، مثل «الداما» والشطرنج، بينما الولدان الآخران كانا يتسلقان الأشجار، ويصيحان بجنون.

تنهدت غابرييل وهي تقف لتراقب طير نقاد خشب فوق شجرة.. كم تبدو الطفولة بعيدة.. مع ذلك فهي لا تزال حية في ذاكرتها.

ركّزت فجأة على نقار الخشب.. يقال إن ظهور واحد فقط ينذر بالحزن.. وارتجفت، ثم هزت رأسها.. ما هذه السخافة! لا تزال هذه البلاد القديمة تؤمن بالخرافات!

استدارت تكمل طريقها.. ثم توقفت مجدداً بعد أن سمعت صوت كايل.. في مكان قريب.

أدركت أنها كانت عند حدود حديقة «وايت برايز» واستطاعت أن ترى أشعة الشمس من وراء الشجرات القليلة الأخيرة.. تحركت بصمت، تقصد أن تفاجئه بظهورها ثم جمدت في مكانها وهي تسمع ما كان يقول.

كان يتمتم:

ـ حبيبتي.. لا تفعلي هذا!

وأحست بوخزة ألم مجنونة لسماعها الحنان في صوته.

كانت تراه عبر ستار الأشجار.. كان يقف، جانب وجهه نحوها، ينظر إلى كريس.. وارتبكت غابرييل، مجروحة غير مصدّقة، وهي تدرك أن ذراعي كايل كانتا حول كريس، وهو يلقي رأسها على كتفه.

قالت كريس بصوت أجش:

ـ أنا آسفة.. حاولت ألا أبكي كايل.. لكنني تعيسة جداً!

ـ أعرف حبيبتي.. أعرف.

وحرك خدّه ببطء على شعر كريس البني الناعم.. وأكمل:

ـ لكن، كيف سنقول لها الحقيقة؟ لا أستطيع مواجهة الأمر كريس.. ولا أظن، صدقاً، أنها ستتحمل.. وهل من حقنا أن نرتاح من ألمنا بأن نجرحها؟ يجب أن نكون شجاعين.. وأعرف أن هذا مؤلم لكن الألم سيكون أكبر إذا قلنا لها الحقيقة، أليس كذلك عزيزتي؟

قالت كريس وغصة في صوتها:

ـ أجل.. أعتقد هذا.. لكنني أشعر بالذنب.. وأنا أعرف.. وأواجهها كل يوم، دون أن أقول شيئاً. أخشى أن تقرأ كل شيء على وجهي..

قال كايل بلطف:

ـ أنا واثق من أنها لن تشك بشيء.. جففي دموعك الآن.. وابتسمي. يجب أن نعود إلى المنزل وإلا سيبدأ أحدهم بطرح الأسئلة.

وأخذا يبتعدان، وكريس لا تزال تهمس له.. تسمرت غابرييل مكانها، مذهولة لا تأتي بحراك.

كايل.. وكريس! لم يكن يخطر لها ببال أن يجمعهما شيء.. إلا محبة الأخ لأخته.. لقد تربيا معاً وكبرا تحت سقف واحد، ولم تلاحظ أي شيء يعطيها سبباً للشك في أمر كهذا.

الآن عرفت سبب المواعيد الملغاة.. الأعذار.. التصرف اللاهي الذي أقلقها مؤخراً. انتابتها حيرة مؤلمة شلّت تفكيرها.. لم تكن ترى سوى وجه كايل الأسمر يداعب شعر كريس، وصوته العميق يواسيها.

ثم، بعد أن خمد إحساسها بالألم، اجتاحها غضب جارف.

كيف يمكنهما هذا؟ منذ متى وهذا الحب السري مستمر؟ تطلعت بألم إلى أسابيع من الادعاء والكتمان.. وحلّ مكان الألم إحساس بالإذلال.. متى توقف كايل عن حبها؟ ومتى بدأ يحب كريس؟ فكرت بالحنان القديم، وارتجفت.. هل كان يعانقها وهو يتمنى أن تكون كريس؟

أدارت وجهها إلى أحد جذوع الأشجار النحيلة تئن بصمت.. لطالما كان هناك جزء من كايل متباعداً عنها.. كان يبدو خائفاً حين تتقرب منه كثيراً.. حتى في بداية حبها له.. ولم تعرف يوماً بماذا كان يفكر.. لم يكن من طبعها أن تكون باردة متباعدة، لذا وقعت في حبه باستسلام كامل.. أوه.. مازحته، سخرت، تجادلت معه أحياناً.. فهي كما رأى فيلبس، ليست من النوع الخاضع. لكنها لم تخفِ شعورها وأفكارها عنه، ولم تخجل من أن يرى بوضوح أنها تحبه بكل شغف طبيعتها.

هل هذا ما كان يعنيه فيلبس؟ هل كان يحذّرها من السماح لكايل بأن يرى مقدار حبها له؟

مرة أخرى صعقتها الخيانة.. كايل.. وكريس!

أخذت الدموع تنهمر على وجهها، وجلست على الأرض، تعض شفتها، تقاوم لتستعيد سيطرتها على نفسها.

مرات ومرات، راجعت ما سمعت.. وشيئاً فشيئاً أدركت أنها لم تكن منصفة. فكلاهما بدا بعيداً عن السعادة.. كانا بحميانها لا يخونانها.. ولا حيلة لهما إذا كان أحدهما وقع في حب الآخر. مثل هذه الأشياء تحدث للناس دون أن يشعروا بها، ربما أدركا فجأة ما هو شعورهما.. واندهشا لهذه المشاعر.

دعكت عينيها بخشونة، وابتلعت ريقها بصعوبة.

قالت لنفسها بجفاء وقلق: طبعاً، لا يمكن أن أسمح لهذا بأن يستمر.. لا يمكنني تركهما يضحيان بنفسيهما هكذا.. يجب أن أنهي هذه الورطة الرهيبة فوراً.

طعنها ألم حاد.. وتخسر كايل؟ رفعت ذقنها بكبرياء.. أجل.. لا يمكنك أن تحبي من ليس لك، وكايل لم يعد لك.. كل ما تستطيعين فعله الآن أن تتركيه.. لكن بوقار.

يجب أن أذهب إليه غداً، وأقول له إنني سمعت كل شيء، وأقول له إنه حرّ من وعده لي.

وقفت، وبدأت تسير بسرعة عائدة إلى منزلها.. ثم توقفت فجأة.. كيف يمكنها أن تقول له إنها سمعت ما قاله لكريس؟ سيجعلهما ذلك يشعران بالذنب.

بطريقة ما يجب أن تفسخ الخطوبة دون أية إشارة على أنها تشك في أي شيء.

لم تكن قادرة بعد على مواجهة عائلتها.. إنها تحتاج إلى وقت لتفكر.. هكذا تجولت عبر الحقول التي بدأت تعتم، وقد جفت عيناها، وتسمرتا في نظرة قاسية.. ولم تكن تلاحظ أين تسير.. لذا دهشت حين وجدت نفسها على طريق ريفية ضيقة، على بعد أميال، وبدأت تسير على حوافي العشب، تراقب السماء التي تزداد عتمة فوق رأسها.. تغريد طيور الليل كان له وقع حزين على أذنيها هذه الليلة. في الحقل حولها كانت الازهار البيضاء الطويلة تتحرك وكأنها الأشباح، ترتجف أمام مداعبة الريح وفراشات الليل تطوف حولها.

قفزت مذعورة حين توقفت سيارة رياضية حمراء، مع صرير المكابح.. حين استدارت نصف مفزوعة، ناداها صوت شاب:

ـ إلى أين أنت ذاهبة يا فتاتي الجميلة؟ خاصة في مثل هذه الساعة؟

ابتسمت مسترخية:

ـ روبي.. أيها الأبله!

ـ وهل هذه تحية لطيفة؟ ها أنذا أقود سيارتي لنجدة آنسة داهمها الليل، وتنعتني بالأبله! هيا اصعدي!

أطاعته ضاحكة، وانطلقت السيارة بسرعة تقطع الأنفاس.. فاحتجت:

ـ هاي! أبطيء سيرك! أريد أن أصل سالمة.

نظر إليها بطرف عينه وقال ممازحاً:

ـ قطة جبانة!

وأبطأ سيره.

كان روبي شاباً نحيلاً شديد السمرة، بلون البرونز، شعره البني القاتم متجعد وملتصق برأسه الصغير.. أذناه مائلتان قليلاً، تعطيانه تعبيراً عابثاً مرحاً حين يضحك.. وكان فاتناً. وكما في طفولتهما، كان أقرب أصدقاء غابرييل، حتى أنه يستطيع أن يقرأ أفكارها.. لذا حاولت أن تبدو مبتهجة.

لكنها لم تنجح كثيراً، فقد كان يراقبها في المرآة ثم سألها بصوت منخفض:

ـ ما بك؟

احمرت وجنتاها الشاحبتان:

ـ لا شيء!

تابع مراقبتها:

ـ أبقاك كايل منتظرة مرة أخرى؟

نظرت إليه جانبياً تحاول قراءة تعابير وجهه، هل يشك في شيء؟ إنه على أي حال، في المنزل عينه مع كريس وكايل طوال اليوم، وروبي سريع البديهة، وجريء، وخبيث، وليس من السهل خداعه.

قالت ببطء:

ـ أجل.. اضطر إلى العمل حتى وقت متأخر.

قال بخفة:

ـ هناك أمور كثيرة تستأثر به.. إنه يأكل، يشرب، ويعيش، والعائلة تستأثر به.. أنا أتمتع بعملي.. لكنني ملعون لو تركته يستأثر بحياتي. خاصة إذا كان بانتظاري عروس جميلة مثلك.

ضحكت غابي دون مرح:

ـ شكراً!

تجهم وجه روبي بسرعة:

ـ غابي.. ما الأمر؟ هيا الآن طفلتي.. يمكنك أن تثقي بي!

نظرت إليه بمحبة:

www.elromancia.com

ـ أعرف أنني أستطيع أن أثق بك روبي.. لكن لا شيء أقوله لك.

قال ببطء:

ـ فهمت.. أعرف ما أنت بحاجة إليه.. كوب كبير من عصير التفاح.. الشيء المناسب لنهاية يوم حار.

توقف أمام مقهى قديم، ونزل من السيارة.. شربا عصير التفاح في حديقة المقهى، تحت مظلات براقة الألوان، بينما كانت العتمة تزداد عمقاً حولهما.. كان هناك حبال من المصابيح الملونة تدخل وتخرج من بين الأشجار في الحديقة وكأنها جواهر غريبة الشكل.. نظر إليها روبي مفكراً وهو يسأل:

ـ هل سمعت آخر المشاريع؟ سيرسلني كايل إلى إيطاليا لمدة سنة.. يريدني أن أكون وسيطاً بين تايسون والمؤسسة الإيطالية التي نتعاون معها.. لدينا خطط كبيرة للتوسع في أوروبا، أم يجب أن أقول أن لكايل خطط كبيرة.. إنه يرى نفسه كالجنرال ويلنغتون، يريد غزو أوروبا.

غاص قلب غابرييل:

ـ أوه روبي.. سأفتقدك! لكن هذا سيكون أمراً رائعاً لك.. كل تلك «الحسناوات السوداوات العيون»!

ـ سأتمتع بهذا.. وسأعود لأحضر زفافك، طبعاً.. عرس السنة.. من يستطيع ألا يحضره؟

تلاشت ابتسامتها عن شفتيها:

ـ أجل.

ضاقت عينا روبي:

ـ غابي؟ ما الخطب؟ ألا أستطيع المساعدة؟

هزت رأسها:

ـ لا!

وضع كوبه على الطاولة ووقف:

ـ حسن جداً.. من الأفضل أن نعود الآن.

عادا أدراجهما عبر طرقات ريفية مظلمة بسرعة هادئة.. ولفح وجهها الهواء البارد.. جلست بصمت، عيناها ثابتتان على ظلمة الأشجار التي تمر بسرعة.. كان قلبها يتألم.. والدموع بدأت تنهمر ببطء على وجهها. أدارت رأسها كي لا يرى روبي الدموع، ومسحت عينيها خفية.

توقفت السيارة فجأة خارج منزلها، وأخذت تفتش عن مسكة الباب.. مال روبي أمامها ليفتحه لها، ونظر عن كثب إليها.

قال بحدة:

ـ لأجل السماء غابي! ما الأمر؟

ـ أنا متعبة.. هذا كل شيء.

وضع يده تحت ذقنها، ورفع لها وجهها.. فالتقت بعينيه.. وقال بلطف:

ـ أنت كاذبة مسكينة.. حسن جداً، إذا كنت لا تثقين بي فاذهبي ونامي.. ليلة سعيدة.

فتح لها جوش الباب والسخط باد عليه فنزلت مع ابتسامة متكلفة.. ثم توقفت.. وأخذ وجهها يشحب ويحمر وهي ترى كايل يقف وراء جوش.. ثم تقدمت بسرعة، لكن كايل سبقها إلى السلم.

سألها كايل متجهماً:

ـ أين كنت؟.. قالت أمك إنك ذهبت إلى «وايت برايرز» لكنك لم تصلي إلى هناك.

ردت بهدوء، تستحضر آخر ما لديها من السيطرة على نفسها:

ـ أنا آسفة، لقد التقيت روبي، وأخذني في نزهة.

وأعطته الكتاب الذي ما زالت تحمله:

ـ خذ.. من الأفضل أن تأخذ هذا معك، إنه للعمة آنيت..

أخذ كايل الكتاب منها ببطء وهو ينظر إليها. وردت إليه نظرته، وهي تتألم حباً.. كانت عيناه الزرقاوان كقطعتي جليد تحت حاجبيه الأسودين.

www.elromancia.com

كيف ستتحمل التخلي عنه؟.. وأحست بالبؤس لكن كبرياءها أدركتها.. لن تتمسك برجل يرغب في أن يكون حراً.

قالت ببرود:

ـ ظننتك ستعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة.

ـ كنت أعمل.. الساعة الآن الحادية عشرة، ألا تعلمين؟ وأنا أنتظرك هنا منذ ساعة. فكرت أن أزورك وأنا في طريق عودتي إلى المنزل.. وهكذا اكتشفت أنك اختفيت.

استدارت غابي عنه متثائبة:

ـ أووه.. أنا آسفة! أنا متعبة جداً.. النزهة في الهواء الطلق تنعسني دائماً.. كان روبي يرفع غطاء السيارة.

ـ أين أخذك؟

ـ إلى المقهى وجلسنا في الحديقة، نشرب عصير التفاح، ونتحدث. كان الطقس أكثر حرارة من أن نتحمل الجلوس في الداخل. أضاءت المصابيح الملونة الأشجار، وكان هناك رجل يعزف القالس في الداخل.. سمعناه عبر النافذة المفتوحة.

إنها تثرثر لتخفي إحساسها بالبؤس.

قال ساخراً بحدة:

ـ جو رومانسي جداً!

نظرت إليه بدهشة، ثم دفعها الغضب لترد:

ـ أجل.. كان رومانسياً.. جداً!

ساد صمت طويل. ونظر كايل إليها، حاجباه مقطبان.. وعيناه الزرقاوان ضيقتان وباردتان.

ـ وهل قال لك روبي إنني سأرسله إلى إيطاليا؟

ردت بحرارة:

ـ أجل.. قال لي.. وأعتقد أنه كان من الأفضل أن تنتظر إلى ما بعد زواجنا.. سأفتقده.. و..

أحست بالدموع تلسع عينيها مجدداً.. لم تكن تعرف ما تقول.. واستدارت نحو الباب، وقد أعمتها الدموع.

أمسك كايل ذراعها، وقال ببرود:

ـ أكملي.. أكملي.

هزت رأسها:

ـ أنا متعبة.. وسأذهب لأنام.

هزها كايل، وانحنى لينظر إلى وجهها، قسمات وجهه مشدودة بالغضب.

ـ أكملي ما كنت تقولينه.

هزت رأسها بعجز مرة أخرى وهي تحس بالخدر والاستنزاف.

ـ أرجوك كايل، أريد أن أذهب إلى سريري.

قال ببطء:

ـ حسن جداً.. سنترك هذا الآن.. وربما هكذا أفضل.. لا جدوى من جرجرة الأمور إلى العلن.

هل خمن أنها عرفت سره؟.. هل هو على وشك أن يبوح لها بالحقيقة؟ لكن، لمعرفتها بكايل، عرفت أنه حين يفقد السيطرة على طبعه، يتحول إلى زلزال.. وما إن ينفلت هذا الهدوء البارد عن السيطرة، يمكن أن يصبح إعصاراً مدمراً. وقد ينسى حسن الأخلاق، ويصيح بالحقيقة من على سطوح المنازل. وهذا ما لا يجب أن يحصل.. يجب ألا تنتهي خطوبتهما هكذا.. وإلا ستفسد العلاقات العائلية لسنوات.. سوف تتسبب بالكثير من المشكلات لو أنها فسخت الخطوبة بنفسها.. لكن إذا فسخها كايل ليتزوج من كريس.. فحتى فيلبس سوف يغضب منه.

سارت معه إلى الباب، تدعو الله ألا يحاول معانقتها.. لن تستطيع تحمله إذا فعل.. هذا العناق سيلسعها كأنه وشم بالنار.

ولم يعانقها.. بل نظر إليها، ووجهه متحفظ. ثم قال متصلباً:

ـ ليلة سعيدة.

وذهب.

www.elromancia.com

٢ ـ عضة الحبيب

كانت المكتبة تقفل أبوابها أيام الخميس طوال النهار.. ولطالما تمتعت غابرييل بالعطلة وسط الأسبوع.. كانت تعطيها فرصة للتسوق في وقت لا تكون فيه المحلات مزدحمة، كما هي أيام السبت.. ويفرحها أن تكون حرة في حين يعمل الآخرون.

لكنها صباح هذا الخميس، لم تكن في مزاج يسمح لها بالتجوال أو التفرج على الواجهات، وبدت متجهمة حين اقترحت عليها أمها أن تخرجا معاً للتفتيش عن أشياء تنقص جهازها.

احتجت السيدة سمرفيلد:

ـ ولكن.. غابي.. لم يعد لدينا وقت طويل.. وتعرفين هذا.. قد تبدو الثلاثة أشهر مدة طويلة.. لكن، صدقيني، نحتاج إلى كل دقيقة منها، إذا كنا نريد أن نتأكد أن هذا الزفاف سيكون مكتملاً كما حلمت به دائماً.

ـ أعرف أمي.. وأنا آسفة.. لكن، ليس اليوم.

كانت قد قررت في نفسها أن تفسخ الخطوبة في أسرع وقت ممكن.. فلو أخرتها أكثر من هذا، فستكون العواقب وخيمة حتى أنها لا تجرؤ على التفكير بها.. عليها أن تقدم على ذلك قبل أن تفقد الشجاعة.

ـ أنت لم تختاري بعد تصميم فستان العرس.

سارت غابرييل متململة إلى باب المطبخ.. ونظرت إلى سياج خشبي مضلع مغطى بالزهور البيضاء، دون أن تراه. فتوقفت السيدة سمرفيلد

مقطبة.. وخرجت غابرييل إلى الحديقة.. بينما راحت أمها تتساءل:

ـ ماذا بها؟ ما خطبها؟

سارت غابرييل هائمة في الحديقة ثم جلست على مقعد الحديقة الخشبي القديم، تنظر إلى المروج الخضراء الفسيحة، المنحدرة نحو القرية.. يخيم على المنظر الهدوء والسلام.. بدا وكأنه يسخر دون رحمة بعذابها.

سمعت صوت كريس من المنزل، فأجفلت.. كيف ستواجهها دون أن تفضح معرفتها بالحب السري بينها وبين كايل، وهي التي طالما اعتبرتها صديقتها؟

كان وقع أقدام كريس مخنوقاً فوق المرج الأخضر.. وظهرت فجأة، وهي تبتسم.. كانت فتاة صغيرة الجسم ولا تزال سمينة قليلاً، لكن جسمها الآن أصبح ملفوفاً برشاقة تناسبها، وتعطيها جمالاً يلفت النظر، خاصة لوجهها.. شعرها البني المتموّج كان قصيراً وملتصقاً برأسها.. عيناها البنيتان، اللتان تشبهان عيني روبي، كانتا تبتسمان بدفء.

ـ أوصلني كايل إلى هنا وسأتابع الطريق مع جوش. ها أنا أتوقف عند محطة قبل أن أصل إلى عملي!

بدت ابتسامة غابرييل متصلبة.. لكن صوتها ظل طبيعياً بما يكفي.

ـ ألن يذهب كايل إلى المصنع هذا الصباح؟

نظرت إليها كريس باستغراب.. وقالت ببطء:

ـ لا.. سيأخذك إلى كانتربوري، أليس كذلك؟

نظرت إلى كريس:

ـ أوه.. هذا فستان جميل.. اللون الأصفر يناسبك.

ابتسمت كريس مجدداً:

ـ شكراً، قال جوش إنني أبدو كزهرة صفراء.

قالت غابرييل بلطف:

ـ هذه ليست لباقة منه.. مع ذلك أظنه يقصد المديح.

هزت كريس كتفيها:

ـ ما يقصده واضح.. فأنا أبدو طفولية.. لطالما كان جوش يفكر بي كطفلة.. لكنني لم أعد طفلة.

راقبتها غابرييل مفكرة.. أجل.. لم تعد طفلة.. لكنها تعيسة.. استطاعت أن ترى ظلالاً سوداء تحت عينيها البنيتين.. وشفتاها تنحنيان بقلق.. وملأتها الشفقة.. يا للمسكينة الصغيرة لماذا يجب أن يكون الحب معقداً هكذا؟ إنها مثل جوش، لطالما فكرت بكريس كطفلة صغيرة.

نادى جوش من المنزل، واستدارت كريس لتذهب، تلوح مودعة لغابرييل.. وعاد الصمت ليخيّم على الحديقة.. وفجأة سمعت وقع خطوات خلفها، فأدارت رأسها لتلتقي بعيني كايل الباردتين الزرقاوين.. أحست بوجهها يشحب حتى البياض، دون إرادة منها.. وحاولت أن تبتسم، لكن حركة فمها كانت باردة متيبسة.

قال:

ـ أنت شاحبة جداً.

ردت بهدوء:

ـ لم أنم بما يكفي.

قال بحدة:

ـ ولمَ لا؟

وقفت، تشعر بتوتر غريب لا يصدق.. ثم سارت في الممر الموصل إلى غابة الأشجار الصغيرة.. يجب أن تفعل ما تريد الآن.. من الحماقة أن تشعر بالذنب، وكأنها هي المخطئة.

توقفت عند طرف الأيكة.. تحدق إلى عمقها البارد وأخذت نفساً طويلاً ثم قالت:

ـ كايل.. أنا آسفة.. لقد وجدت أنني كنت مخطئة.. لن أستطيع الزواج منك كايل.

ساد صمت طويل، ثم رفعت رأسها أخيراً، متوقعة أن ترى الارتياح على وجهه أو الدهشة والشك.. لكنها وجدته ينظر إليها بوجه قاتم كيوم الشتاء.

سأل بأدب مثلج:

ـ وهل لي أن أسأل عن السبب؟

أجفلت، وارتبكت.. هل أساءت فهم الموقف؟ هل قفزت إلى استنتاج خاطىء؟ ثم تذكرت الألم في صوتيهما، والبؤس على وجهيهما وهما متعانقان.. وتلاشى نور الأمل الضعيف الذي تراءى لها بسرعة.

استجمعت شجاعتها، لا يجب أن يرتاب بشيء. من الأفضل لشخص واحد أن يكون تعيساً من تحطيم حياة ثلاثة أشخاص فوق صخور الغيرة والتملك المسننة.

قالت بسرعة:

ـ والدي كان على حق حين طلب أن ننتظر.. لقد أطحت بي عن قدميّ كايل.. لكنني لم أكن أحبك حقاً.. أعرف هذا الآن. كنت متعلقة بك، طبعاً، لكنني ظننت المحبة القديمة، شيئاً أكثر عمقاً.. كنت..

وصمتت، تبحث عن كلمات تقنعه:

ـ كان هذا جنوناً مؤقتاً.

بدا وجهه جامداً متحجراً، وأجبرت نفسها على أن تبتسم له:

ـ هكذا كان الأمر.. أليس كذلك كايل؟ بالنسبة لك كذلك.. كما أعتقد؟ مجرد غلطة.. جنون مؤقت.

ـ حقاً؟

ماذا يريد بعد؟.. لقد أعطته حريته.. وهو غير مضطر لقول شيء لها.. ماذا قال لكريس: إنه لا يستطيع مواجهتها؟ لكنه الآن وقد أتمت المهمة الصعبة، بدا متجهماً، لا يلين، وكأنه غاضب منها!

عبثت بخاتمها وتمكنت من خلعه.. ونظر إلى الخاتم دون أن يتحرك

www.liilas.com

وهي تمدّ له يدها.

ما خطبه؟.. وبدأت تشعر بالغضب.. لا تسير المقابلة حسبما توقعت.

فتح فمه العنيد، ليسأل بصوت مثلج:

ـ إنه روبي.. بالطبع؟

حدقت به بعينين واسعتين إلى أن آلمتاها.. ماذا يعني؟ ثم فهمت.. طبعاً.. يريد أن يطمئن نفسه، أن يعرف أنها تحب سواه.. أنه أكثر كبرياء من أن يتقبل التضحية، حتى لو لم تتهمه بشيء.. فلكونه كايل، لا يستطيع أن يصدق أن أية فتاة يمكنها أن ترفضه دون سبب وجيه.. فإذا لم تكن تعرف بأمر كريس فلا بد أن يظنها تحب شخصاً آخر.. حسناً.. لَمَ لا؟ إذا كان هذا يسهل المسألة!

ـ أجل.. إنه روبي.

اشتعلت العينان الزرقاوان مجدداً! ولم تستطع قراءة تعابيرهما.. هل هذا فرح؟ ارتياح؟ بهجة؟

سأل ببطء:

ـ لماذا لا تخبريني بكل شيء إذن؟ لماذا اللف والدوران؟ هل ظننت أنني أعمى تماماً؟ لقد شككت في هذا منذ زمن طويل.. وقلت لنفسي إنني أتخيل الأشياء.. أعرف كم أنتما مقربان.. ولن أسمح لنفسي ألا أصدق ما يتضح يوماً بعد يوم.

أجل، يمكنها تصديق هذا.. كايل يبحث يائساً عن طريقة شريفة للخروج من هذا الموقف.

قالت بنعومة، وبجدية:

ـ أنا آسفة كايل.

كرر الكلمة بتشديد غريب:

ـ آسفة؟

تصاعد لون أحمر داكن تحت بشرته... فجأة، انتزع الخاتم من يدها

الممدودة، ورماه دلالة غيظ بين الأشجار.

صاحت بحزن ورعب:

ـ أوه! لماذا فعلت هذا؟ خاتمي الجميل! لن أجده مرة أخرى!

كل الألم الذي كانت تكبته تصاعد دون احتمال.. وقفزت الدموع إلى عينيها.

قال بخشونة:

ـ لكل إنسان حدوده.. ولقد وصلت إلى حدودي.. وما يسمّى بالتصرف المتمدن، هو مجرد سترة مجانين تقيد الإنسان.. يمكنني تحملها لفترة.. لكن، لا تستخدمي كلمات غير مناسبة، منافقة مثل «آسفة» معي. وإلا، فلسوف أنفلت من تلك السترة اللطيفة، وأفعل شيئاً نندم عليه معاً.

ثم استدار على عقبيه، وسار مبتعداً، ليتركها محتارة غاضبة.

لماذا فعل هذا؟ جلست على العشب تفكر، لم يظهر كايل أية ردة فعل مما توقعتها.. ولم تعرف ما هي ردة فعله حقاً.. لم يحاول أن يجادلها.. ولم يبدُ عليه الأسف، أو الفرح. الشيء الأكيد الذي عرفته أنه رمى بخاتمها الجميل بعيداً.. وكان في حركته هذه شيئاً نهائياً، جرحها بالعمق.

بدا أن إعلام عائلتها بما جرى، كان سهلاً.. قصت عليهم الخبر تلك الليلة وقت العشاء، حين كان الجميع موجوداً.

ساد الصمت بعد الإعلان الصارم.. ثم صاحت أمها بصوت متألم:

ـ لا يمكن أن تكوني جادة؟

لكن حين رأت أمارات الصدق على وجه ابنتها أكملت:

ـ أنت مجنونة! أنت وكايل.. طموح حياتي، لطالما أردت هذا.. وأنا أخطط لهذا الزفاف منذ أشهر. كل أصدقائي.. سأكون مضحكة المنطقة كلها.

وعلقت أنفاسها:

ـ أوه.. فيلبس.. لن يسامحك أبداً! أن ترفضي حفيده! سينقم الرجل العجوز علينا جميعاً وإلى الأبد.

قالت غابرييل بقلق:

ـ آسفة أمي..

وفكرت: ألن أتوقف عن قول هذه الكلمات أبداً؟

نظرت إليها أمها غير مصدقة:

ـ آسفة؟ كيف يمكنك قول شيء كهذا؟.. كايل تايسون هو أشهر عازب مرغوب على بعد أميال من هنا.. لماذا؟ أنا لا أفهم لماذا!

وضع فرد سمرفيلد يده على ذراع زوجته، ونظرت إليه، فهز رأسه محذراً.. عضت الأم شفتها وكتمت بقية كلامها الحاد.

استدارت غابرييل إلى أبيها تنتظر تعليقه، فابتسم لها بلطف:

ـ حسن جداً عزيزتي.. لقد أثرت صدمة عنيفة.. كيف تلقى كايل الخبر؟ بشجاعة أهل طروادة، كما آمل؟

نظرت إليه بحدة.. تحس بشيء ما وراء كلماته، مما أثار اضطرابها.. وكأن والدها مسرور في سره لهذا الخبر.

قالت ببطء:

ـ لم يقل شيئاً كثيراً.. وبالطبع تقبل قراري.

هز الأب رأسه مبتسماً:

ـ كسيد مهذب.

مرة أخرى أحست بقشعريرة تسري في ظهرها.. هل يكره والدها فعلاً كايل؟ إنها تعرف رأيه بفيليبس.. فهل يمتد سخطه إلى كايل؟

انفجرت الأم:

ـ أظنه جن غضباً.. فعلى أي حال، الخسارة تقع على طرف واحد.. أنت تملكين أسهماً كثيرة في الشركة، وكانت ستعطيه أسهمك السيطرة الكاملة بين أكثرية المساهمين. أنا آسفة لكايل.. لا بد أن خططه دُمرت.

نظرت غابرييل إلى أمها بخيبة أمل. لم تفكر أبداً بالجانب المالي لهذا الزواج.. بالطبع، بالطبع! ربما كان هذا هو السبب الحقيقي لرغبته في الزواج منها! هل كان كل الحب من جانبها وحدها؟ تستطيع أن تصدق أن

كايل يمكن أن يتزوج لمثل هذه الأسباب.. فللشركة أهمية كبيرة في حياته.

لسبب ما، معرفتها بهذا جعلت من الأسهل عليها أن تراه بوضوح.. وأصبح جرحها أقل ألماً، إذ لم يكن يحبها أبداً، فقد كانت تعيش في جنة الأغبياء.. ومع كل الألم الذي تعانيه، يجب أن تكون ممتنة لأن الرباط انقطع وأطلق سراحها من مثل هذه الصفقة غير المتساوية.. ماذا لو أنها تزوجت كايل، واكتشفت فيما بعد أنه لا يحبها، ولم يحبها يوماً؟ وارتجفت للفكرة.

فيما بعد، سعى جوش إليها، ولف ذراعه حول كتفيها، وقال بلطف:

ـ سنتخطى العاصفة.

هزت رأسها:

ـ أجل.. لكنني أتمنى لو لم أسبب مثل هذا الإزعاج لأمي.

ـ لا تأبهي لأمي. أنت التي تقلقيني.. تبدين كالأموات غابي.. صحيح أنك لست وردية الخدود أصلاً، لكنك الآن بيضاء كالأشباح.

قالت تعترف:

ـ أحس بالتوتر.. لكنني سأتحسن مع مرور الوقت جوش. أشعر براحة بال أكبر.

هز جوش رأسه.. ثم قال:

ـ لماذا فسخت الخطوبة غابي؟

ابتسمت:

ـ غيرت رأيي.. أمر بسيط جداً.

نظر إليها مقطباً:

ـ أتمنى لو أصدقك حبي.. أتمنى حقاً لو أصدقك.

ذلك السبت، وصل روبي دون توقع، ودعاها للعشاء معه، في نادي المنطقة الذي هو عضو فيه.

ـ إنها حفلة الكريكت الراقصة.. ألن يذهب جوش؟

يبدو أن جوش ذاهب بالتأكيد، فقد انضم إليهما، أملس الشعر، في بدلة سوداء رسمية على غير عادة، وغمز لهما.

ـ أنا على استعداد لخطف أبصار الآنسات وأنا سعيد أنك قادمة غابي. . هل ستتعشين مع روبي أولاً؟

تبادل مع روبي نظرات صامتة متفاهمة وتساءلت عما إذا كانا قد تآمرا معاً لهذا. لو أن جوش دعاها لكانت رفضت فهي تشعر بالتوتر. . وأية إشارة للإشفاق كانت ستجعلها تبكي وتتوتر. . وهذه حالة أخافتها.

صعدت لتغير ثيابها. . وارتدت بعناية متعمدة. . أحسّت بالرضى حين رأت روبي يرفرف عينيه وهي تنضم إليهما مجدداً. . كان الفستان الكحلي القاتم الذي ترتديه، ناعماً وملتصقاً بجسمها . . ربطت شريطاً فضياً في شعرها الأحمر بتسريحة ناعمة بسيطة.

قال روبي صادقاً:

ـ تبدين فاتنة.

ابتسمت وسألت:

ـ أين جوش؟

ـ سبقنا.

أمسك بمرفقها ليقودها إلى السيارة.

حول العشاء، وفي قاعة الطعام الخافتة الأنوار قال لها روبي إن كايل أبلغ العائلة خبر فسخ الخطوبة. . وأضاف بلطف:

ـ أنا آسف غابي.

هزت كتفيها:

ـ هذا يحدث دائماً. . هل غضب فيليس؟

كشر وجهه:

ـ بل شحب وجهه! إنه يحبك. ولسوف ينقض في الغد على القطيع وكأنه الذئب، كما أتوقع. . فاحذري منه.

ـ أنا لا أخافه.

ـ لا. . ولهذا هو معجب بك كثيراً. . فهو لا يلتقي دائماً بمن هو على

استعداد للوقوف في وجهه. . وكايل كذلك.

انخفضت عينا غابي إلى الطاولة، وتنهدت. . هل ستكون كريس قوية بما يكفي للوقوف بوجه كايل؟ أم أن هذا الخنوع اللطيف هو الذي جذبه إليها؟ هل فيليس مخطىء في ظنه أن كايل يحتاج إلى فتاة قوية الشخصية؟

سألها روبي:

ـ ماذا ستفعلين الآن؟ هل تدركين كم أن الأمر سيكون محرجاً لك؟ سترين كايل طوال الوقت. . أعني. .

هزت رأسها:

ـ قد أفتش عن عمل في لندن مرة أخرى.

ـ وماذا عن إيطاليا؟

رفعت عينين واسعتين إليه:

ـ إيطاليا؟ لماذا إيطاليا؟

وضحكت.

ـ سأكون هناك.

ضحكت مرة أخرى:

ـ روبي. . أنت مغفّل!

ثم خطرت لها فكرة صادمة، واحمر وجهها.

ـ روبي. . هل قال كايل شيئاً. . .؟

ـ قال الكثير. . ومفاد ما قاله إنه سيكسر عنقي إذا لم أجعلك سعيدة.

ـ أوه. . روبي! أنا آسفة. لقد استخدمتك كغطاء. اقترح كايل هذا، وتقبلت الفكرة.

تراقصت عيناه:

ـ كان يجب أن تلمحي لي. لحسن الحظ، فاجأني كايل بحيث لم يكن لدي وقت لأفهم ماذا يجري.

سألت بلهفة:

ـ أنت إذن لم تحاول صرفه عن الفكرة؟

www.elromancia.com

هز رأسه، يراقبها بشدة. ثم سأل:

ـ هل لي أن أعرف السبب الحقيقي؟

برزت غمّازة في خدها:

ـ أنت تعرف أنك لست السبب إذن؟

للحظة اختفت ابتسامته، ثم كشر.

ـ يا فتاتي العزيزة.. لست غبياً، ولو كنت أبدو هكذا! أنت لا تحبينني.. أعرفك جيداً ولن أصدق هذا.. تنجذبين إليّ كما إلى سلطة القريدس التي أكلتها لتوّك.

ضحكت:

ـ كم أنت على صواب!

ـ إذن، ما هو السبب الحقيقي؟

ـ لا شيء أستطيع الكلام عنه.

هز كتفيه:

ـ حسن جداً.. أقبل هذا الرد.. ماذا عن إيطاليا؟ أستطيع أن أحصل لك على وظيفة هناك.. لقد درست الإيطالية في المدرسة، أليس كذلك؟

ـ لسنتين وأنا سيئة جداً.. أستطيع القراءة لكن لا الكلام.

ـ أيمكنك كتابة ملاحظات بالإيطالية؟ سأحتاج إلى مساعدة. وأنا واثق أنك قادرة على هذا بمساعدة قاموس جيد.

ـ وهل سيقبلون بي؟

غمز لها روبي:

ـ اسمعي، لقد أعطوني الحرية لاختيار الموظفين التابعين لي.. فهذا قسم جديد صغير جداً سأقيمه. وستكونين مسؤوليتي المباشرة، وإذا كنت راضياً، فليس من حق أحد أن يتذمر.

ـ أنت لطيف جداً روبي.. هل لي بوقت للتفكير؟

هز رأسه:

ـ لكن بسرعة. فأنا مسافر في الأسبوع القادم، ويجب أن تسافري معي.

كررت بدهشة:

ـ الأسبوع القادم؟ بهذه السرعة؟

ـ غابي.. هل أنت واثقة من فسخ الخطوبة مع كايل؟ ألا زلت تشعرين بشيء نحوه؟

شيء؟ وضحكت غابرييل بمرارة في نفسها. وقالت:

ـ لا روبي.. أنا لن أتزوجه أبداً.

ـ إذن ستكونين مسرورة بمركز في إيطاليا.. كايل عدو خطير.. إنه لا يستسلم أبداً. إن كان لا يزال يريدك، فسيأخذ وقته، ثم يعود للهجوم حين يعتقد أنني بعيد عن طريقه.. وأتساءل عما إذا كان هذا هو سبب إبعادي إلى إيطاليا؟ لقد أدهشني قراره.. وظننته يبعدني عن طريقه..

ابتسمت بتوتر:

ـ لا روبي.. لم يرسلك كايل بعيداً بسببي.

ـ لا؟ حسن جداً، تعرفين أكثر مني.. أعتقد.

كانا يرقصان لمدة ساعة حين دخل كايل وكريس الغرفة المزدحمة.. حين رأته عبر الغرفة، ماتت الهمسات والضحك.. وأدركت أن الخبر قد انتشر. خبر فسخهما الخطوبة أصبح معروفاً للجميع، وراقب الناس كايل يهز رأسه بكياسة باردة تحية لها ولروبي، وابتسما له بالطريقة ذاتها. وارتجفت غابرييل، حين شعرت بروبي يضمها إليه أكثر.

سألها بلطف:

ـ أنت بخير.. حبي؟

ابتسمت له:

ـ بخير!

ـ يبدو الجميع متعجباً.. فهل نعطيهم ما يرغبون به؟

أحنى رأسه يمرر خدّه على خدها.. تراجعت مرتجفة، فنظر إليها مبتسماً:

ـ هاي.. من المفترض أن تتنهدي!

www.elromancia.com

احمر خداها ولمعت عيناها.

ـ أرجوك.. روبي.. لا أريد! أشعر أنني مفضوحة النوايا بما يكفي.

قال من بين أسنانه:

ـ آه.. لكن، هنا يكمن السر.. ولا تظهري شيئاً لأحد.. وكلما شعرت بالسوء أكثر، كلما كان هذا أفضل لك.. فالسماء تمطر دائماً حين لا يكون معك مظلة.

ـ شكراً لك، يا حضرة الفيلسوف.. وليلة سعيدة.

ابتسم:

ـ هكذا أفضل! هيا.. الخد على الخد.

وجذبها إليه أكثر.. من فوق كتفه التقت عيناها بعيني كايل المثلجتين لفترة قصيرة.. وكان لديها انطباع قوي، أنه لا زال غاضباً.

حين انتهى الرقص، دسّ روبي ذراعه حولها ضاحكاً، وقادها إلى شقيقته وكايل.

قال بخفة:

ـ لقد فاتكما نصف المرح.

كانت كريس شاحبة جداً تنظر إلى غابرييل بعينين متفحّصتين.

قالت غابرييل بهدوء:

ـ مرحباً كريس.

صمتت كريس لبضع ثوانٍ ظاهرة، ثم أجابت متنهدة:

ـ مرحباً.. هل تستمتعين؟

قال كايل ساخراً:

ـ هذا واضح!

ازداد احمرار وجه غابرييل، فاشتدت يد روبي على خصرها، ونظر متحدياً إلى كايل، وللحظة واجها بعضهما بعدوانية لم ترها غابرييل من أي منهما من قبل.. ثم استدار كايل، وضحك روبي بصوت

منخفض.

نظرت كريس إلى أخيها ساخطة:

ـ روبي.. ماذا جرى لك؟

ضحك مجدداً:

ـ فتاتي العزيزة.. أنا سعيد فقط!

يبدو أن كريس لم تجد مظاهر سعادته حقيقية، فازداد شحوب وجهها.

أحست غابرييل بالأسف عليها. لم تبتهج أبداً لرؤية كريس مرتبكة محتارة.. وسألت روبي:

ـ ألن ترقص ثانية؟

قاطعهما كايل:

ـ لا.. أعتقد أن هذه رقصتي أنا؟

أجفل روبي بشكل ظاهر، وقال بتركيز شديد:

ـ لا أظن.

نظر كايل إلى غابرييل مباشرة، وسألها باحتقار ظاهر:

ـ لماذا تظنين أننا أتينا إلى هنا؟ سيكون هناك الكثير من الأقاويل على أي حال.. لكن، لو شوهدنا نتكلم معاً فستموت الشائعات بسرعة.

قالت متأثرة فجأة:

ـ أوه.. شكراً لك.

جلس روبي إلى جانب أخته، وسارت غابرييل مع كايل إلى حلبة الرقص، ووضعت يدها على كتفه، فالتفت يده على خصرها، وما إن لامستها أصابعه حتى أحست بإحساس حاد من السعادة في أعماق نفسها.

رقصا بصمت لحظة. لطالما رقصا معاً بشكل جيد وتساءلت ببؤس كيف ستطيق ألا ترقص معه بعد الآن.

رفعت نظرها إليه.. تمتم ببرود:

www.elromancia.com

ـ قولي شيئاً . . ابتسمي . . أظهري أنك سعيدة . الجميع يراقبوننا .
أجبرت نفسها على ابتسامة مشرقة .
ـ هذا تفكير جيد منك كايل .
ـ أجل . . أليس كذلك؟ لم أكن أدرك أنني كنت غبياً .
وابتسم لها ابتسامة ساحرة زائفة .
قالت :
ـ أنا ذاهبة مع روبي إلى إيطاليا .
بقيت ابتسامته حيث هي ، مسمرة على شفتيه .
ـ كم هذا جيد لكما معاً .
ردت الابتسامة ، وبزيف مماثل :
ـ أجل . . وأظن أننا سنتمتع بهذا كثيراً .
ـ ألن تتزوجيه قبل السفر؟ سيكون هذا صدمة لوالديك . يجب أن يكون الزواج مدنياً ، ليس هناك وقت لترتيب زفاف كنسي .
ضحكت بمرح ، ترمي رأسها إلى الوراء :
ـ أوه . . لسنا على عجلة من أمرنا ، سننتظر إلى أن نعود إلى انكلترا .
ـ يجب أن يتعلم روبي من تجربتي . . من الأفضل له أن يتزوجك بسرعة قبل أن تغيري رأيك مرة أخرى . . فمن يعلم ، قد تلتقين بشاب إيطالي وسيم وتقعين في حبه .
نظرت إليه نظرة صبر حلوة :
ـ أشك في هذا كايل . . لكن ، ماذا عنك؟ ربما ستتزوج وأنا في إيطاليا .
فكرت : الآن يجب أن يخبرني بأمر كريس . . لقد تركت الباب مفتوحاً له . . لو كان لديه غريزة الصدق سيقول لي . . ولن يستمر في التظاهر بأنه المرفوض .
ـ قد تكونين على حق . بكل تأكيد ، لا أنوي الحزن على حبك . . وفي المرة القادمة ، سأجد من يفهم معنى كلمة الإخلاص .
ملأها غضب حارق . . لم تعد تستطيع التظاهر بالابتسام له . .

واشتعلت عيناها الخضراوان :
ـ يا للفتاة المسكينة! أنا آسفة لها ، كائناً من تكون .
يا لكريس المسكينة . . أتمنى ألا تكتشف أبداً كم أن كايل وحش بارد القلب حين يغضب . . ولا بد أن أمي مصيبة في أسباب زواجه مني . . الغضب لوحده يجعله يقول مثل هذه الأشياء . . يا إلهي كم هو منافق! كيف يجرؤ على افتعال مثل هذا المشهد؟ حين أفكر كيف كان يهدىء كريس ، ويتظاهر أنه طيب القلب ولا يريد إيلامي . . وطوال الوقت ينوي فسخ خطوبتنا ، ولأسباب ارتزاقية! بعد الزواج ، ربما كان سيحاول إقناعها بأن تكون عشيقته . ولن أستبعد هذا منه . . كم أكرهه وأحتقره!
ابتسمت له مجدداً ، وقد سيطرت على نفسها ، وكان هو شاحب الوجه مشدود الأعصاب ، وابتسامته متلاشية .
قال قرب أذنها :
ـ لطالما كان لسانك لاذعاً غابي ، ويجب أن أصفع وجهك!
ضحكت ، وردت هامسة :
ـ لماذا لا تجرب . . حاول فقط!
صمت لحظة ، ثم ضحك ، وأسنانه مطبقة بلطف على لبة أذنها .
ـ لا بد أن هذه أمسية رائعة لك . . روبي يعانقك وأنا أعض أذنك . . غابي المرأة المهلكة . . أليس من المثير التسبب بكل هذا؟
ردت بمرح مع انتهاء الموسيقى :
ـ بل مدمّر .
تركها فوراً ، وسارا عائدين إلى كريس وروبي جنباً إلى جنب ، مبتسمين .
نظر كايل إلى روبي ببرود :
ـ أعيد لك شريكتك سالمة .
ـ شكراً .
ونظر إلى غابرييل متسائلاً . ابتسمت له مطمئنة . . ورأى روبي البريق

الغاضب في عينيها، والذقن المرفوع، والتصميم في شموخ رأسها.. وقرأ الدلائل بشكل صحيح. مهما كان كايل قد قال لها، فهي الآن أكثر تصميماً في قرارها.. اختفت أمارات الأسف عن وجهها.. ودفع الغضب بالندم بعيداً.

***

٣ ـ عناق الكراهية

حين سمع والداها بخططها للمستقبل، ذهلا ثم غضبا.

قال الأب بصوت متعنت:

ـ لن أسمح لك بذلك.. تذهبين مع روبي إلى إيطاليا؟ يا لها من فكرة سخيفة!

احمر وجه السيدة سمرفيلد وهي تنفجر بالكلام في أعقاب كلام زوجها:

ـ هل تريدين إثارة فضيحة؟ روبي! هل هذا ما حدث؟ هل قررت أن تحبي روبي؟كيف تجرؤين غابي؟.. حين ألمحت كاتلين دلتون بهذا، قلت لها إنها مجنونة.. لم أصدق أن تكوني غبية هكذا.

ردت غابرييل ساخطة:

ـ لماذا تعتبرون الأمر غباوة؟ ما به روبي؟ أنا أعرفه منذ سنوات.. لطالما كنتم معجبين به فلماذا ترذلونه الآن؟

تكلم فرد سمرفيلد قبل زوجته، وقال بصوت ناعم بارد:

ـ يا فتاتي العزيزة.. يجب أن تعرفي أن روبي يغار من كايل، ولطالما كان هكذا.. وإذا تصورت أن في الأمر عاطفة شخصية، فانسي الأمر. روبي يكره مركز كايل في المؤسسة.. ولا دخل لك، إنه يستخدمك كسلاح ضد كايل.

نظرت إليه محمرة الوجه متسعة العينين:

ـ ما هذا الهراء! أعرف روبي أفضل منك أبي.. ليس محدوداً هكذا.

ابتسم والدها:

www.elromancia.com

ـ لا أبداً.. بل هو طموح وذكي.

السخرية في صوته أغضبتها:

ـ أوه.. أبي.. لن أصغي لهذا! أظنك تظلم روبي.. وأعرف أنكم جميعاً مستاؤون لأنني فسخت خطوبتي.. لكن أرجوك، لا تحاول خلط الأمور.. لا دخل لروبي بقراري.. ولا يعرف شيئاً عنه، ولقد قررت لوحدي تماماً.

ضحكت السيدة سمرفيلد بمرارة:

ـ أتتوقعين أن نصدق؟ كنت سعيدة جداً بالزواج من كايل وفجأة انتهى كل شيء؟

أحست غابرييل أنها متعبة حتى نقطة اللارجوع فردت بالمرارة عينها:

ـ سعيدة جداً! كنت أعيش في جنة الأغبياء الزائفة! هل نسيت بسرعة كل مواعيده التي أخلّ بها.. الأوقات التي نسي فيها الاتصال بي.. ونسي حتى وجودي؟ لقد قلت لي بنفسك أمي، إن عليّ أن أضرب الأرض بقدمي عناداً.

قالت الأم مفزوعة:

ـ لم أعن بهذه الطريقة! لم تكوني مضطرة لتدمير كل شيء!

ـ لا يمكن تدمير شيء لا وجود له! لم يحبني كايل يوماً.. لقد اعترفت بهذا بنفسك حين قلت لي إنه يرغب بالزواج حتى يحصل على غالبية الأصوات في مجلس المساهمين ليسيطر على المؤسسة فعلياً.

نظر فرد إلى زوجته ببرود:

ـ لماذا قلت هذا الكلام بحق السماء؟

ـ فقدت أعصابي.

هزت غابرييل كتفيها:

ـ لقد فات الأوان الآن! كل هذه الاتهامات تزيد الأمور سوءاً.. لقد اتخذت قراري.

تقدم والدها إليها ووضع ذراعه حول كتفيها، ينظر إلى وجهها

الشاحب:

ـ غابي.. أنت على صواب.. نحن نفقد أعصابنا.. أنا آسف لو قلت أي شيء يؤلمك.. لطالما كان روبي صديقك، أعرف هذا.. ومن حقك الدفاع عنه.. كل ما أطلبه أن تفكري بجدية فيما تفعلين.. كايل لن يسامحك أبداً إذا ذهبت إلى إيطاليا مع قريبه.. أتدركين هذا؟ قد يسيء فهم دوافعك.

ردت بهدوء:

ـ كايل يعرف.. قلت له.. وأؤكد لك أنه يعرف دوافعي للسفر حق المعرفة.

نظر إليها مقطباً:

ـ هكذا إذن.

ـ أبي.. أكره أن أتحداك.. ولن تقف في طريقي.. أليس كذلك؟

رفع كتفيه وتنهد:

ـ لا.. أعتقد أنني لن أفعل.

صاحت زوجته:

ـ فرد! لا يمكن أن تتركها تدمر حياتها هكذا.. كيف يمكن لأي فتاة أن تفضل روبي على كايل؟ كلّمها.. اجعلها تتعقّل.

تأوهت غابي لهذا.. حقاً.. كيف يمكن لأحد أن يفضل رجلاً آخر على كايل؟ واشتعلت عيناها بالألم وخيبة الأمل. بدا والدها، وهو يراقبها عن كثب راضياً:

ـ عزيزتي.. دعي الطفلة تفعل ما تريد. فهذه حياتها، يجب أن نقف إلى جانبها.

رمقته بنظرة شرسة محتقرة:

ـ كان يجب أن أعرف أنك ستتخذ هذا الموقف.. لا يهمك أن تخسر فرصة العمر.. أنا أغسل يديّ من الأمر كله!

إذا ظنت غابرييل أنها اجتازت معظم المحن، فهي مخطئة.. ففي

www.elromancia.com

الصباح التالي، بينما كانت تتناول الفطور بتكاسل، هبط فيلبس عليها دون سابق إنذار.

كان هناك شبه كبير بين الجد وحفيده. ونظرت إليه بشيء من الحزن، ترى كايل كما سيصبح يوماً ما.. العينان الزرقاوان الثاقبتان، الغارقتان عميقاً تحت حاجبين كثيفين أسودين.. الأنف السلطوي الحاد الذابل.. الخدان البارزان.. والفك القوي.

نظر إليها، وحاجباه مشدودان.

ـ حسناً، ماذا تعنين بكل هذا سيدتي؟ كيف ترفضين حفيدي؟

ارتفع ذقنها فوراً، وتحدته عيناها:

ـ أنا آسفة! لكن هذا شأني أنا.

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة! والدك يعتقد أن علينا ألا نتدخل في المسألة.. هل صحيح أنك متورطة مع روبي؟ إنه ليس الرجل المناسب لك.. فأنت لا تناسبينه.

غضبت للهجته الحادة:

ـ روبي لطيف، يراعي المشاعر، وكريم.

هز فيلبس كتفيه دون اكتراث لما تقوله:

ـ وما دخل هذا بذاك؟ هذه ليست ميزات تجعل نبضات القلب تتسارع.. اللعنة! ولست الفتاة التي يمكن أن ترضى بهذا فقط!

ـ أنا مغرمة بروبي.

ـ مغرمة! يا لها من كلمة غبية! أنا عجوز محنك ولا يمكن أن أعلق بشبكتك يا صغيرة.. سوف تسأمين من روبي بسرعة. النار التي في شعرك دلالة الخطر.

تفرس بها من تحت حاجبيه الكثيفين:

ـ هيا.. ما هي الحقيقة؟ هل تشاجرت مع كايل؟ إنه متوحش حقير بعض الأحيان.. أعرف هذا. هل تجاهلك؟ نحن نتوسع بسرعة، وتعلمين هذا، العمل يستأثر بوقته، ولا يمكن لومه على هذا. يجب أن تدركي أن

رجل الأعمال المنهمك لا يجد الوقت الكافي لحياته الخاصة.

قالت بثبات:

ـ أرفض مناقشة هذا معك.. لقد اتخذت قراري.. لن أستطيع الزواج من كايل.. ولا شيء آخر أقوله. أنا آسفة إذا كان أملك قد خاب.. لكن هذا شأننا.

تفحصها بأسف. كانت تبدو جميلة جداً، منتعشة وهادئة، في فستانها الأزرق القاتم.. صحيح أن عينيها كانتا متحفظتين، إلا أن الوعد الناري كان يتوهج في الشعر الأحمر الحريري المتجمع على مؤخرة رأسها.

تنهد فيلبس.. لعدم وجود من يعارضه في العمل كان كايل يتحول بسرعة إلى طاغية.. وكانت صدمة حين أعلن أن خطوبته فسخت.

نظر فيلبس إليه يفتش في وجهه المتجهم عن دليل ألم أو غضب، لكن الدليل الوحيد كان ارتجاف أصابعه قليلاً وهو يحمل كوب العصير.. ركز فيلبس على هذا، وسأل بقسوة:

ـ خسرتها.. أليس كذلك؟ لرجل آخر كما أعتقد؟

وارتشف كايل شرابه ببرود، ثم رد أن هذا ليس من شأن الجد.

فيما بعد، بينما كان يقف في نافذة مكتبه، سمع تبادل حديث بين كايل وروبي، أوضح له كثيراً.

لهجة كايل المثلجة، ووجهه العاصف، كانا كافيين لفضح أمره.. كان روبي متقد العينين، ووقحاً قليلاً.. وأحس فيلبس وهو يراقبهما برغبة في رفس الصبي.. وعرف أن كايل كبح نفسه كي لا يفعل ذلك.

نظر إلى غابرييل الآن متوتراً:

ـ اللعنة يا فتاة.. كنت أعتمد عليك! كايل بحاجة إليك.

ـ ستضطر إلى إيجاد فتاة أخرى له.. واحدة مناسبة أكثر مني.

ـ ماذا يعني كلامك هذا؟

هزت كتفيها:

ـ أنا واثقة أنك ستجد له من تنفعه!

ضحك فيلبس بخشونة:

ـ أوه.. لن يقبل كايل بأي تدخل مني! سيجد فتاته بنفسه في المستقبل.

التفتت إليه بسرعة، ماذا يعني بهذا؟ هل خطبها كايل بناء على نصيحة منه؟ هل كان كل هذا لمجرد إرضاء جده؟

قالت بهدوء:

ـ هذا قرار حكيم.

نظر فيلبس إليها بحدة، وقد ضاقت عيناه، ثم غرق في تفكير عميق:

ـ همم..

بقيت غابرييل مشغولة جداً لما تبقى من الأسبوع.. قدمت استقالتها من المكتبة، وأرسلت لها الجمعية مساعدة شابة، تستلم العمل منها حين ترحل، ووجدتها نشيطة وكفوءة.. وقام روبي بكل ترتيبات السفر، وحصل لها على إجازة العمل.. وبعد عدة اتصالات تدبر لها غرفة في المبنى الذي سيقيم فيه.. كان مرحاً جداً، ومبتهجاً كلما التقيا.. ولأن عائلتها كانت تستمر في تأنيبها وهي في المنزل، أمضت معظم وقتها مع روبي.

في آخر يوم لها في المكتبة، جاءت العمة آنيت لتراها.. كانت تبدو ضعيفة جداً، وبدا القلق على غابرييل وهي تحييها.

تقدمت تقبل الخد المتجعد، تستنشق بمحبة عطر اللافاندر الذي تفضّله.. ولطالما انتقدها فيلبس لحبها للافاندر.. في الصيف كانت تقطع الزهر وتجففه وتملأ أكياساً صغيرة به، تضعها في كل خزانة وفي كل درج.. كل ملابسها كانت تحمل هذه الرائحة، وكان فيلبس يقول لها:

ـ حيلة فتاة عجوز مثالية!

وكانت ترد عليه:

ـ والدتنا كانت تحب اللافاندر ألا تذكر؟

مع كل رقتها، كان لها طريقة تسيطر فيها على أخيها دون جهد.. ولطالما أعجبت غابرييل بها لهذا الأمر.

نظرت إليها العمة آنيت بحزن:

ـ إذن.. لن تتزوجي كايل.. أنا آسفة عزيزتي آسفة جداً.. حقاً.. لكنه يتحمل المسألة جيداً. كايل بارع في إخفاء مشاعره.

اشتعلت عينا غابرييل الخضراوان ألماً وغضباً.. ولمحت العمة هذا، فتفرست عن قرب بوجهها:

ـ عزيزتي.. هل أنت واثقة من صحة قرارك؟ كنت واثقة جداً من حبك لكايل.

قالت غابرييل:

ـ أنا أكرهه وأحتقره.

وأحست بالذهول لسماع نفسها.

قالت العمة برنة صوت غريبة:

ـ لا أظن أن كايل كان سيعترض.

ضحكت غابرييل:

ـ أما كان ليمانع؟

ابتسمت العمة:

ـ كايل، ليس بالرجل الذي يثير مشاعر معتدلة. إذا لم تكترثي به يصبح ضعيفاً، لكن الكراهية تثيره.

ضحكت غابرييل مرة أخرى:

ـ عمتي آنيت! ما هذه الأشياء التي تقولينها؟

ـ آه! أنا أعرفه! كما تعرفينه أنت عزيزتي! أمثاله من الرجال نادرون.. خلقوا ليأمروا، ويحتاجون إلى امرأة من نوعهم إلى جانبهم.

ترددت غابرييل، ثم قالت ببطء:

ـ هل أنت واثقة من هذا؟

لهجتها لفتت انتباه العمة، فسألتها وهي تراقبها:

ـ ماذا تعنين؟

ـ أتساءل عمّا إذا كان قد خطر ببالك يوماً، أن شخصاً آخر قد يناسبه

أكثر.

تستطيع غابرييل أن تلمح إلى الحقيقة لشخص واحد وهو العمة آنيت... فهي تعرف أن سرها سيكون بأمان.

ضاقت العينان الزرقاوان:

ـ من هي.. طفلتي؟

نظرت غابرييل إليها متوسلة:

ـ أتقسمين على ألا تتنفسي بكلمة؟

ـ طبعاً.. إذا كانت هذه رغبتك.

ترددت غابرييل، ثم قالت بصوت أجشّ:

ـ كريس!

حدقت العمة بها وقد فغرت فمها، ثم قطبت:

ـ كريس؟

انتظرت غابرييل.. فلقد رأت أن اقتراحها أثار خط أفكار جديد.

بحثت العمة عن كرسي لتجلس عليه، تنظر حولها في المكتبة الصغيرة.

ـ الآن، وقد ذكرت هذا.. كان هناك شيء.. لم أستطع أن أفهمه بالضبط.. نظرات بينهما، صمت غريب.. لاحظت هذا دون أن أدرك شيئاً.

أحست غابرييل بمشاعر مؤلمة. إذن لقد بدأ غيرها بالشك! ولم تكن مخاوفها دون أساس.

قالت العمة:

ـ لطالما أراد فيلبس أن يتزوج كايل منك. وأتساءل عما إذا كان قد دفعه للتقدم إلى خطوبتك.. وهو الآن يظنك ستتزوجين من روبي.

ـ روبي عزيز جداً، وأنا مولعة به.

ـ لكن؟

ـ أجل.. لكن.. ولكن كبيرة.. أعتبره كأخي، ولقد استغليته كغطاء ضد كايل.

ـ طبعاً.. كايل يغار منه.

تصاعد الاحمرار من عنق غابرييل إلى وجهها:

ـ يغار؟ كايل.. يغار؟

أحنت العمة رأسها:

ـ أوه.. أجل عزيزتي.. كان روبي ولداً لامعاً ومحبوباً.. أذكر كيف كنتما تلعبان معاً في الغابة الصغيرة.

وضحكت:

ـ كنتما تحاولان إخافتي! تخترعان دائماً حيلة شريرة، وكان كايل يغار حتى في ذلك الوقت.

ـ عليّ أنا؟ كنت في نصف عمره.. ألا تذكرين؟.. فتاة صغيرة! وكان لديه الكثير من الصديقات.. وتعرفين هذا.

ـ بالطبع أذكر.. لكنك كنت دلوعته وأنت صغيرة. ألا تذكرين هذا؟ والسبب هو طبعك الحار.. وكان يتسلى حين يراك تفقدين أعصابك.

ـ ولا يزال.. كما أعتقد.

ـ هناك نزعة تملّك قوية في نفس كايل.. إنه يتمسك بما لديه عزيزتي.. كما كان فيلبس دائماً. وهو يعتقد أنك ملك له.. حين عاد من الجامعة، ليجد روبي يسير وراءك طوال اليوم، كره هذا..

وضحكت.. ثم كشّرت وانحنت إلى الأمام.

جلست غابرييل إلى جانبها وسألت، بعد أن رأت وجهها يبيض:

ـ ما الأمر؟

ـ أوه.. قليل من الروماتيزم.. إنه معي منذ مدة.. وسيزول في لحظات.

ـ هل أنت واثقة من أنك بخير؟

بدت نحيلة جداً، وضعيفة.. عمرها بدأ يظهر عليها.. بقليل من التوتر، قالت العمة:

ـ أنا بخير عزيزتي.. لا تخافي.

www.elromancia.com

ووقفت.

ـ يجب أن أعود.. تمتعي بنفسك في إيطاليا غابي، لكن لا تستعجلي في أي شيء.. هل ستفعلين؟ أنتم الشبّان تظنون أنكم تعرفون ما هو الأفضل.. لكن الكبار، الذين خارج اللعبة، هم من يعرفون حقاً ماذا يجري.

قبلتها غابرييل:

ـ شكراً لك عزيزتي.. سأكتب لك.. اعتني بنفسك.

في الليلة التي سبقت رحيلها إلى إيطاليا، خرجت غابرييل تتجول في الأيكة، تفتش عن خاتم الخطبة. كانت تفتش عنه منذ ذلك اليوم.. بعد أن رماه كايل هناك.. لن تستطيع تحمل التفكير به مرمياً هناك تحت المطر ليصدأ، والحجر الثمين الوهاج الثمين يخبو بريقه ومعدنه المشغول بدقة يمتزج بالوحل.

كانت السماء تمطر ذلك الصباح.. ورائحة المطر عابقة. كان للأرض عطر منعش بارد. التمعت على أطراف أغصان السرخس الطويلة قطرات ماء برّاقة، وقفز طير سمّان يختفي بين العشب وهي تتقدم، وأرسل بلبل تغاريده الفرحة إلى السماء المكفهرة.

كانت منكبة على التفتيش، فقفزت خائفة عندما تحطم غصن يابس تحت قدم أحدهم. ووجدت كايل على بعد أقدام منها، وقد تقدم دون أن يزعجها.

نظر إليها بطريقته الباردة المتباعدة.. وأحست بموجة من الغضب تجتاحها.. أي حق له في أن يوقعها في حبه وهو لا يشعر بشيء نحوها؟

سأل:

ـ أتبحثين عن شيء؟

احمر وجهها، وهزت رأسها.. لن تعترف له أنها تبحث عن الخاتم الذي رماه دون اكتراث.

دسّ يديه في جيبيه.. وخيم الصمت بينهما. كان ينظر إلى الأغصان

الخضراء، واستطاعت بأمان أن تراقبه، وحلقها يكاد يطبق حباً له.

ثم أدار وجهه فجأة، فزاد احمرارها وأخفضت عينيها بسرعة أمام نظرته المتحدية.

سألت بدافع ندمت عليه فوراً:

ـ كيف حال كريس؟

رد ببطء:

ـ بخير تماماً.. ولو أنها متألمة قليلاً.

ـ متألمة؟

ـ توقعت منك زيارة لتوديعها.

ـ أوه..

إذن كريس متألمة؟ تشك في هذا!.. فهي لا شك مرتاحة جداً، وسعيدة، لا تهتم برؤيتها مجدداً.

كان كايل يراقبها.. وحاجباه مرتفعان عجباً:

ـ لا تعليق؟

ـ وماذا توقعت أن أقول؟

ـ يمكنك التعبير عن ندم ولو خفيف لأنك أهملت صديقة قديمة.

قالت كاذبة:

ـ كنت سأزورها لولا أنني مشغولة.. كنت أتوقع أن تعرف كريس هذا بنفسها.

ـ ليست بصحة جيدة.. وإلا أتت لتراك.

ـ وهل من شيء خطير؟

ـ لا.. مجرد أنفلونزا صيفية.. لقد قلت لها السبب المحتمل لتجاهلك لها.

خفق قلبها:

ـ أوه.. وما.. ما هو؟

ـ الرغبة في تجنبي.

أشاحت غابي بوجهها، تهز كتفيها. ثم بدأت تمشي نحو منزلهما.. وسار معها كايل فتوقفت ترفع نظرها إليه.

قالت ببرود:

ـ لا داعي لمرافقتي.. أنا أعرف الطريق.

تمتم بشيء من بين أنفاسه، وشحب وجهه. رأت فمه يلتوي تحت تأثير توتر من نوع ما.

قال بحدة:

ـ أليس مسموحاً بنوع من الوداع؟

ـ لا شيء نقوله لبعضنا كايل. لقد ودعتك منذ أيام طويلة.

امتدت يداه لتمسكا كتفيها، مما جعلها تقف وتئن ألماً من أصابعه المشدودة عليها.

ـ لا يمكنك صرفي عنك هكذا وكأنني حشرة مزعجة.

ـ ألا أستطيع؟ راقبني إذن!

نظرا إلى بعضهما ووجهاهما قريبان جداً.. ومرت فراشة صغيرة بينهما، فلامس جناحاها المبللان خدها، فقفزت ترجع رأسها إلى الوراء.

في اللحظة التالية كانت بين ذراعيه، ورأسها ينحني إلى الوراء على ذراعه.. وهو يعانقها بقسوة وغضب حارق. لم تكن قد واجهت أي شيء مماثل من قبل.. وانتفضت غاضبة تنتزع نفسها.. فتركها على الفور.

للحظة نظر إليها. عيناه تلمعان ببرود. وقال بسخرية جعلت غضبها يزداد:

ـ امسحي عنك هذا!

واستدار ليبتعد بين العشب النامي.

حدّقت خلفه، ترتجف بعنف. كيف يجرؤ؟ إنه متوحش! لم يكن في عناقه سوى الكراهية، وهي الآن متأكدة أنه لم يحبها يوماً.. كانت مجرد وسيلة لأغراضه.. وما أن امتلكت الجرأة غير المتوقعة لتعترض على استغلالها، حتى ثار غضبه.. وهذا كل ما في الأمر.

قالت بصوت مرتفع:

ـ مسكينة كريس.

وبدا صوتها ضعيفاً بشكل غريب، ورفيعاً.. وأكملت سيرها ببطء نحو المنزل، ترتجف وكأنها وسط عاصفة مفاجئة.

***

www.elromancia.com

٤ ـ كأنهما غريبان!

حتى في شهر أيلول، كانت الشمس تشع دون توقف في «آڤيني». بعد شهرين اعتادت غابرييل على حرارتها، ووجدت أنه من الممكن أن تمضي ساعة الغداء على الشاطىء، تسبح وتأكل السندويشات، قبل العودة إلى المكتب لفترة بعد الظهر. في البداية، كانت مضطرة إلى أخذ قيلولة وسط النهار، لكن ما أن مضت حرارة آب، حتى أصبحت مرتاحة أكثر فأكثر في الطقس الدافىء. لم تكن تتمتع بوقت تكاسلها فقط، بل وجدت أنه يسهل عليها العمل أكثر.

كانت تمضي بضع أمسيات في الأسبوع تحسّن لغتها الإيطالية الضعيفة مع أستاذ وجده روبي لها.. كان شاباً أسود العينين والشعر، أحرجها إعجابه بها في البداية، ثم أرضاها. أضعفت كرامتها المجروحة مناعتها أمام إصراره على الخروج معها. كان روبي يمازحها دائماً حول هذا المعجب، وهي راضية متسلية، فترد عليه مازحة بشأن السكرتيرة الجميلة التي كانت تختلق الأعذار لتدخل مكتبهما بسؤال أو طلب، وترفرف رموشها السوداء لروبي وهي تقف قرب مكتبه.

بعد أسابيع قليلة في إيطاليا، أصبحت بشرتها ذهبية داكنة ومليئة بالحيوية.. كانت تقضي عطلات نهاية الأسبوع مع روبي على الشاطىء الذي لا يبعد سوى خطوات عن المصنع.. ولم يكن المكان الأفضل في البلدة.. فالسواح لا يأتون أبداً إلى هذا المكان البعيد من الخليج.. لكن، بالنسبة لهما، كان المكان أحد ميزات (آڤني).. فقد كانا يتشمسان تحت مظلات

مخططة محاطين بالسكّان المحليين الراغبين، مثلهما، في تجنب السواح.

كان المصنع صغيراً، وهو كمصنع تايسون، مؤسسة عائلية.. والسنيور سالتيني يعرف كل شخص من موظفيه بالاسم، وهو محبوب من معظمهم. كان سميناً ومرناً، له عينان سوداوان برّاقتان. يجوب في المبنى خلال اليوم، لمراقبة سير العمل. كان له تصرف أبوي، يحتضن الرجال بين ذراعيه ليهنئهم على ولادة صبي لهم، أو زواج، أو مناسبة عائلية.. لكن كيف كان يعرف هذه المناسبات، هذا ما كان يحيّر غابرييل.. لكنه بالتأكيد يهتم كثيراً، ليس بالعمل فحسب بل بالعمال كذلك.. أصغر تفاصيل حياتهم تهمه.

أعجبت غابرييل به من أول نظرة، وقال لها وهو يرفع عينيه إلى السماء:

ـ آه.. سيدتي الشابة.. أية مشاكل ستأتين بها؟ هذا الشعر الأحمر.. هاتان العينان الكبيرتان.. والساقان الجميلان.. يا للسماء! إنني أرى ألعاباً نارية على وشك أن تنطلق!

احمر وجهها ونظرت إلى روبي بسخط عاجز، ثم غمز لها السنيور سالتيني:

ـ لكنني نسيت أنك إنكليزية..! ولسوف تتجمدين حين يفقد الشباب عندي رؤوسهم، فيلتزمون عندئذ بالأدب.. لا؟

أكدت له بثبات:

ـ بلى!

ضحك بحبور ظاهر، والتفت إلى روبي:

ـ عظيم عظيم.. وأنت، صديقي العزيز.. ستبقى تراقبها؟

دس روبي ذراعاً متملكة حولها وهو يرفع التحدي.

ـ يمكنك الاعتماد عليّ!

هز السنيور سالتيني رأسه ببطء:

ـ آه.. هكذا إذن! أفضل أيضاً! مخطوبان؟

ـ ليس بعد.. لكن..

وكانت ابتسامته واثقة بما يكفي ليضحك السيد سالتيني:

ـ إذن، لا داعي للقلق! هذا جيد.. أحب أن تكون عائلتي الصغيرة سعيدة.

دعاهما إلى العشاء في إحدى الأمسيات، لترحب بهما بحرارة زوجته السمراء السمينة.. وواجهت غابرييل طبقاً ضخماً من الأرز واللحم، ذاب فوقه الجبن. فأخذت نفساً عميقاً، وارتجفت لمجرد التفكير بما سيفعله هذا لخصرها.

سألتها السنيورا بلهفة وهي تأكل:

ـ أيعجبك؟

ـ كثيراً.

هز السنيور سالتيني رأسه:

ـ زوجتي ماهرة في الطبخ.. يجب أن تتذوقي «الكانيلوني» الذي تعده! بعد الوجبة.. أخذتها السنيورا لتريها الصبيان الثلاثة، النائمين كالملائكة السمر في أسرتهم.. ولامست غابرييل خد الصغير الناعم، الذي يبلغ الرابعة من عمره، وأفلتت منها تنهيدة صغيرة. أولاد كايل سيبدون مثل هذا الصبي تماماً.. وأرجعت خصلة شعر سوداء عن جبين الطفل.

نظرت إليها السنيورة سالتيني راضية:

ـ تحبين الأطفال، لا؟

ـ كثيراً.

ـ سيكون لديك أولادك يوماً.

ابتسمت غابرييل:

ـ هذا ما آمله.

العمل المطلوب من غابرييل، بالكاد يكون شاقاً. كل ما هو مطلوب منها هو أن تتواجد في المكتب في غياب روبي.. كانت الروابط بين شركتي سالتيني وتايسون جديدة غير مجرّبة.. ترتيبات العمل يجب أن تقوى،

ومشكلة اللغة كانت معقدة، وامتنّت غابرييل لهذا.. تحت إشراف المدّرس، كانت تجد سهولة في تعلّم اللغة.

ازدادت صداقتها لروبي مع رؤيتها له تحت ظروف ضاغطة أكثر من مرة. كان يعالج الأمور بطريقة هادئة عاطفية وواضحة، ولم يفقد أعصابه يوماً.. أدركت أن مرحه كان مجرد رد فعل سطحي.. يخفي تحته، وكما قال والدها، شاباً طموحاً وذكياً. وقد أحسن كايل حين أرسله هو بالذات لهذا العمل.. فقد كان روبي يتولاّه بكفاءة عالية.

سألها بعد ظهر يوم مشرق من شهر أيلول:

ـ ماذا ستفعلين مساء غد؟

ابتسمت:

ـ لدي موعد.

ـ مع معلمك؟

ـ أجل، مع بيدرو.. سيأخذني إلى مطعم جديد.. يقول إن هناك ثلاثياً موسيقياً رائعاً..

ـ فرقة «پوپ»؟

ـ على الطريقة الإيطالية، فهم يغنون أغان إيطالية شهيرة.

نظر إليها مفكراً:

ـ لا أريد أن ألعب دور الأب المتشدد.. أعرف أنني تركت سالتيني يعتقد أننا مخطوبان تقريباً.. لكنني فعلت هذا لحمايتك.. لن تدعي بيدرو يصبح جاداً.. أليس كذلك؟

ابتسمت له:

ـ لست طفلة روبي.. بالطبع لن أفعل هذا.

ـ حسن جداً.. أنت تعرفين الإيطاليين.. دماؤهم حارة جداً، وما إلى ذلك!

ـ لكنهم لا يستخدمون القوة، وتعرف هذا.. إنهم رومانسيون متحمسون.. لكن أخلاقهم رفيعة.

www.elromancia.com

رفع حاجبيه بعجب:

ـ تتكلمين عن خبرة خاصة؟

ردت بحزم:

ـ أجل.

ـ حسن جداً.. طالما تعرفين ما تفعلين.. هل لا زال من المسموح لي أن أخرج معك، أم أنك أصبحت تفضلين الإيطاليين؟

نظرت إليه بسرعة، تشك بوجود امتعاض في صوته.

ـ لا تكن سخيفاً..! بالطبع سأحب الخروج معك!

ضحك وذهبت عنه نظرة الحزن:

ـ أرحتني! متى؟

ـ لا شيء يشغلني ليلة الأربعاء.. بيدرو يعطيني الدرس بعد موعدنا.

ـ أرجو أن تكون دروسه لغوية فقط.

حركت أنفها غامزة:

ـ لا تقلق، إنها هكذا! ينفّذ عمله بجدية وهو ممتاز.

في الأمسية التالية، كانت ترتّب أوراقها حين انفتح الباب خلفها، فاستدارت، وصدمت لرؤية كايل خلفها في الغرفة.

تلاشت الألوان من على وجهها.. ثم تدفقت مجدداً، واستقامت.. سألها ببرود، كأنهما غريبان:

ـ أين روبي؟

ـ إنه مع السنيور سالتيني.

تقدم إلى الأمام ينظر في الغرفة حوله باهتمام هادىء.

ـ كيف تسير الأمور؟ روبي يرسل لي تقريراً كل أسبوع، لكنني فكرت أن أرى بنفسي.

عادت إلى تنظيف مكتبها:

ـ أعتقد أن كل شيء على ما يرام هنا.

ـ جيد..

استدار يتفحصها بعينين ضيقتين جعلتا شعلة من الغضب ترتفع إلى وجنتيها.

ـ أصبح لونك برونزياً.. هل ترتادين الشاطىء كثيراً؟

ـ دائماً تقريباً.

ـ لم أرك من قبل بمثل هذه السمرة.. حتى ظننت أن بشرتك لا تتأثر بالشمس.

ـ في البداية تمهلت كثيراً.. ثم بالتدريج، تأقلمت.

هز رأسه:

ـ كيف تسير أحوالك مع العمال الآخرين؟ علاقات جيدة؟

ـ جداً.

والتقطت حقيبتها تستعد للمغادرة.

ـ أوليس هناك امتعاض منك؟ لأنك أجنبية؟

ـ أبداً.. على حد معرفتي. بل العكس، أستطيع القول إنني وجدت الرجال هنا ودودين.

نظر إليها بسخرية متعمدة:

ـ أصدّقك.

احمرت غابرييل مجدداً حين راحت العينان الزرقاوان تتفحصانها، ثم استدارت نحو الباب.

ـ سأجد روبي وأقول له إنك هنا.. لم يكن يتوقعك أليس كذلك؟

انضم إليها:

ـ لا.. أردت مفاجأته.

نظرت إليه من فوق كتفها:

ـ أظنك تفاجئه.

كما فاجأتني.. لقد أفقدتني توازني بظهورك المفاجىء.. فهل كان هذا مقصوداً؟ لماذا جاء؟ ونظرت إليه ببرود تحاول جهدها أن تبقى هادئة.

ـ إذن، لو بقيت هنا، سأجده لك.

www.elromancia.com

سألها بسرعة:

ـ وهل أنت ذاهبة إلى منزلك الآن؟ فكرت أن نتناول العشاء معاً.

تصلبت:

ـ شكراً لك.. لكن لدي موعد.

كيف يجرؤ أن يدعوها إلى العشاء بهذه اللهجة السهلة وكأنهما غريبان التقيا صدفة! هل من الممكن أن يكون قد جاء إلى هنا ليعلن لها خطوبته على كريس، وليقول لروبي؟

سألت بخفة:

ـ هل من أخبار من الوطن؟

ـ كنت سأقول لك كل شيء على العشاء.. لماذا لا تغيّرين رأيك؟ هل موعدك هام؟ ألا يمكن إلغاؤه؟

انفتح الباب ووقف بيدرو هناك. كان أنيقاً جداً في بذلة زرقاء خفيفة وقميص أبيض، بشرته البرونزية تلمع صحة، وعيناه السوداوان براقتان.

ـ غابرييل، كنت أتساءل أين اختبأت؟ كنت أنتظرك حبيبتي.

احمر وجهها مجدداً.. تشعر بنظرة كايل الساخرة الباردة على وجهها.. وقالت لبيدرو مبتسمة:

ـ أنا آسفة جداً.. أنا قادمة في الحال. لكن يجب أن أجد روبي أولاً.

قال روبي بصوت قاطع:

ـ ها أنذا.

تلعثمت قليلاً:

ـ أوه روبي.

كان يبدو غاضباً.. عيناه البنيتان قاسيتان وباردتان.. وبدأ يتكلم بحدة:

ـ غابي.. ما كل هذا!

ثم توقف يحدق بكايل:

ـ يا للسماء! ماذا تفعل هنا؟

التوى فم كايل، وكأنه يتسلّى:

ـ جئت أتفحص استثماراتنا.

أخذ بيدرو ينقّل نظره من أحدهما إلى الآخر. ثم قام بإيماءة مهذبة:

ـ ربما من الأفضل أن أنتظر في السيارة غابرييل؟ لن تتأخري كثيراً؟

ـ لا.. أنا آسفة بيدرو.. سأسرع.

بعد أن خرج، نقل روبي نظره من كايل إليها، وقال بصوت قاس على غير عادة:

ـ هل لي بكلمة على انفراد قبل ذهابك؟

نظرت إليه بحيرة:

ـ طبعاً.

أخرجها من الباب إلى الممر في الخارج، ثم التفت إلى كايل:

ـ لن أبقيك منتظراً كثيراً كايل.

رفع كايل كتفه دونما اكتراث.

أقفل روبي الباب وراءه والتفت إليها غاضباً:

ـ غابي، نحن في مأزق.. لقد ارتكبت غلطة في الترجمة، وتمّ وضع التعريف الخاطىء على مجموعة كاملة من «الترانزستور» وسالتيني يقفز كالمجنون. وهو يلومني أنا.. بالطبع.. فهذه إدارتي أنا.

قالت برعب:

ـ أوه.. أنا آسفة روبي.. سأذهب إليه لأشرح له أن الأمر غلطة مني.

ـ لا تكوني سخيفة! أنا لست ولداً صغيراً.. ولا أحتاج إلى حماية نفسي خلفك.. لكن احرصي ألا يتكرر ذلك.. لا يعجبني أن ألام لشيء لم أفعله.

وضعت يدها على ذراعه، ونظرت إليه بلهفة:

ـ روبي.. أنا حقاً آسفة.. ربما يجب أن أستقيل، لغتي الإيطالية ليست جيدة.. وتعرف هذا.

ـ لا تكوني حمقاء.. سأسامحك هذه المرة.. وأنا آسف كذلك.. ما كان يجب أن ألومك.. أنا جئت بك وأنا سعيد لهذا.

www.elromancia.com

قبلت خده بتهور، فالتفت ذراعاه حولها وضمها إليه.. رفعت رأسها مندهشة، فوجدت عينيه قرب عينيها.. وكان فيهما حنان أذهلها.

قال بنعومة:

- عزيزتي غابي.. شكراً لأنك متسامحة، كنت فظاً معك منذ قليل.. ربما أحسست بالغيرة من معجبك اللاتيني الحار الدماء، أليس كذلك؟

استندت إليه، مرتاحة لعطفه:

- أنت أحمق.. روبي.

تجعدت عيناه مرحاً:

- لا؟.. هل أنت متأكدة؟

- متأكدة تماماً.

ضمها بشدة، وكانت مندهشة فلم تعرف أيجب أن تستجيب أو تنسحب.. فوقفت مسمرة بين ذراعيه.

انفتح الباب، وتطلع إليهما كايل.. ثم قال روبي بلهجة مرحة، ومهينة:

- آسف كايل.. أسئمت الانتظار؟ أظن أننا أنهينا مشكلتنا الآن.

وترك غابرييل، مبتسماً لها:

- أسرعي إذن حبيبتي.. أراك في الغد.

هزت رأسها واستدارت، متجنبة عيني كايل وسمعت روبي يقول بابتهاج:

- والآن كايل.. هذه مفاجأة! جئت تتفحص عملي، أليس كذلك؟

كان المطعم مزدحماً.. لكن الطعام كان ممتازاً، والموسيقى رومانسية دافئة.. جلسا حول طاولة صغيرة على الرصيف، يشربان عصير البرتقال المثلج ويتحدثان بصوت منخفض، والموسيقى تتهادى من الداخل.

قال بيدرو:

- تبدين جميلة الليلة.

ابتسمت له دون وعي. كانت أفكارها في جيشان أليم حتى وجدت

صعوبة في أن تكون مهذبة.. وصول كايل المفاجيء كان صدمة كبيرة، ولم تستطع إلا أن تتساءل عن سبب مجيئه.. وأي خبر يحمله.. بدا لها مختلفاً، أكثر هدوءاً وتباعداً، كأنه تقبل فسخ خطوبتهما الآن.

وضع بيدرو كوبه من يده، ومال فوق الطاولة، ويده تمتد إلى يدها.

أجفلت ترفرف عينيها، تنتزع نفسها من أفكارها. فقال بلكنته المحببة:

- حبيبتي غابرييل.. هل تمانعين لو دعوتك حبيبتي؟ إنه وصف جميل.. إنكليزيتي جيدة جداً.. وأحب انكلترا. لقد عشت في لندن لمدة سنة.

تركت يدها تحت يده باسترخاء:

- أجل أعرف.. سبق وقلت لي ذلك.

- الأصوات الإنكليزية بطيئة وهادئة.. أحب أن أسمعك تتكلمين.. هل من مشكلة؟ تبدين صامتة جداً، تتكلمين معي كثيراً عادة.. هل أغضبتك في شيء؟

هزت رأسها نفياً:

- بالطبع لا! في الواقع، كنت أفكر بعملي.

وكانت كاذبة.. لكنها لا تستطيع أن تقول له الحقيقة.

هز كتفيه:

- أوه.. العمل! موضوع كئيب في مثل هذه الليلة.

- أجل.. إنها ليلة حلوة.. أليس كذلك؟

كانت السماء دافئة، تتوهج باللون القرمزي الداكن.. الهواء البارد يلفح كتفيها، وينعشها بعد حرارة النهار.

سألها:

- أتريدين الرقص؟ سنرقص الآن ونتناول القهوة فيما بعد؟

كان هناك فسحة وسط المطعم، بضع أزواج كانوا يرقصون حالمين.. نظرت غابي إليهم عبر الرصيف وترددت، ثم هزت كتفيها:

- ولمَ لا؟

وقفا ليدخلا الغرفة المضاءة. ارتاحت يد بيدرو بفخر على كتفها، وانحنى رأسه باهتمام نحوها. كان هناك مرآة معلقة على جدار في الناحية الأخرى من الغرفة.. ولمحت غابرييل نفسها وبيدرو فيها.. لم تكد تعرف نفسها، بشرتها سمراء متألقة، فستانها الأبيض البسيط كان ينفتح مستديراً عند حافته حين تتحرك.. ثم اتسعت عيناها صدمة وهي تلمح رأساً أسوداً مألوفاً في المرآة.. كايل! ماذا يفعل هنا من بين كل الأماكن؟ راقبت انعكاسه بمرارة.. انحنى إلى الأمام يشعل سيكارة، ورأت أنه مع روبي، الذي كان يميل إلى الأمام ليشعلها له. إذن، روبي جاء بكايل إلى هنا! هو يعرف جيداً أنها ستكون هنا.. فلماذا فعل هذا؟

تسللت يد بيدرو ببطء من كتفها إلى خصرها ليشد عليها، فاستدارت إليه مبتسمة.. وتصاعدت الموسيقى حولهما.. ولمعت أسنان بيدرو البيضاء بابتسامة لها:

ـ آه.. ترقصين بشكل جميل جداً.. وأنا كذلك راقص جيد.. ألا توافقين؟

ردت صادقة:

ـ أجل. أنت راقص بارع.

كان رشيقاً كالذئب، وهو يديرها على حلبة الرقص الصغيرة.

بعد توقف الموسيقى، عادا إلى طاولتهما، فوقف روبي ولوح لهما.. تردد بيدرو مقطباً، ثم ابتسم له ونظر إلى غابرييل.

ـ آه.. هذان صديقاك! أترغبين في الكلام معهما؟

ـ لا.. أنا أراهما بما يكفي في العمل.

على الأرجح أن روبي قرأ تعابير وجهها، فقد أرجع كرسيه إلى الوراء وتقدم إليهما، ووجهه الساحر عادة، متجهم.

نظر إلى بيدرو دون ابتسام:

ـ غابي.. يجب أن تأتي لتقولي بضع كلمات لكايل. آسف للمقاطعة.. لكن المسألة عائلية.

فتح بيدرو يديه على مضض:

ـ أوه.. عائلية! أفهم هذا، طبعاً! المسائل العائلية مهمة..

تردد، وكأنه يتساءل عما إذا كان من المتوقع أن ينضم إليهم.. لكن روبي اتخذ القرار عنه بأن هز رأسه تحية وقال:

ـ سوف تعود غابي للانضمام إليك بعد قليل. لماذا لا تشرب القهوة وأنت تنتظر؟

ثم، وقبل أن يستطيع بيدرو الرد، أمسك ذراع غابي وسار بها نحو كايل.. وتمتمت من بين أسنانها:

ـ ماذا تفعل روبي؟ يا لجرأتك!

ـ آسف حبي.. لكنني كنت أقول الحقيقة. يحمل كايل خبراً سيئاً.

خفق قلبها:

ـ سيء؟

أيمكن أن يصف روبي خبر خطوبة أخته لكايل بالخبر السيء؟ أم أن هناك شيء آخر؟

وقف كايل وهي تنضم إليهما، ودفعها روبي إلى كرسي، وجلس.. نظرت عبر الطاولة إلى كايل، بثقة في النفس.

سألت ببرود:

ـ ما هي هذه الأخبار؟

نظر كايل بحدة إلى روبي.

ـ ألم تقل لها؟

ـ لم يكن هناك وقت.

استدار كايل إليها.

ـ غابي.. إنها العمة آنيت..

صاحت بلهفة:

ـ عرفت هذا! كانت تبدو ضعيفة جداً آخر مرة رأيتها! هل هي مريضة؟

هز رأسه:

ـ هذا ما أخشاه.. والأمر.. ميؤوس منه.. لا شفاء له. الآن يجب أن تواجه الواقع.. لكنها لا تزال تظن أنها ستتحسن.

تغضن وجهه بعبوس متألم غاضب:

ـ وهي لن تتحسن بالطبع.. لكنني لن أقول لها هذا.. أنت وروبي يجب أن تعودا إلى الوطن.. سترغبان في رؤيتها.. لكنها تعرف أن روبي سيبقى هنا لمدة سنة، لذا ستشك في شيء إذا عاد فجأة.. لذا يجب أن نجد عذراً لعودتكما.

اقترحت:

ـ عطلة؟

نظر إلى روبي:

ـ عذر واه.. وستفهم أن وراءه شيء.

قال روبي يلف ذراعه حول كتفيها:

ـ لقد تحدثنا في الأمر.. غابي، لو أعلنا الخطوبة أنت وأنا، فسنعود إلى الوطن لنشر الخبر.. أليس كذلك؟

استوت في جلستها متصلّبة، وجهها يفيض بالغضب:

ـ إذن تحدثتما في الأمر؟ لطف منكما! ألن تستشيراني، أم تقرران كل شيء عني؟

أشعل كايل سيكارة أخرى.. وضاقت عيناه عليها عبر الدخان. ثم قال ساخراً:

ـ لديك خيار.. روبي أو أنا.. العمة آنيت رومانسية جداً.. ستصدق بكل حبور أنني لحقت بك إلى هنا، على أمل إقناعك بتغيير رأيك والزواج مني.

حدقت به مشدوهة.. عيناها الخضراوان تطلقان شرارات معادية.

ـ وهل أتظاهر أنني مخطوبة إليك مرة أخرى؟ أفضل الموت!

ارتفع حاجباه السوداوان تساؤلاً:

ـ قول يثير العاطفة.. لكنني أفهم ما تعنين.. إذن فهو روبي.. ولقد

فكرت بهذا.. ومن يعلم، قد تجدين نفسك معجبة بالخطوبة إليه؟

احمر وجه روبي:

ـ شكراً، لا داعي لإظهار الشك في هذا.

لم ينظر كايل إليه، بل تسمرت نظرته على غابرييل، وتعابير وجهيهما تفيض بالتحدي.

قالت ببطء:

ـ أعتقد أن الفكرة كلها سخيفة.. لماذا لا نعود دون هذه المهزلة السخيفة؟ سنقول للعمة آنيت إننا اشتقنا للوطن، أو إننا لم نحسن في عملنا، أو أي شيء آخر؟

قال كايل:

ـ العمة آنيت ليست غبية.. وما تحتاج إليه الآن هو الطمأنينة والراحة.. فهل تستكثرين عليها هذه الخدمة الأخيرة؟ هل كرامتك أهم بالنسبة لك من سعادتها؟

رفعت غابي ذقنها، وقد لذعها الاحتقار في صوته:

ـ أوه.. حسن جداً.. ! سألعب لعبتكما السخيفة! لكن لأجل العمة آنيت فقط!

استرخى كايل وابتسم هازئاً:

ـ طبعاً.. وما غير هذا؟

ـ لا أحب أن يناورني أحد كايل.. أعرف كيف يعمل دماغك السيء النوايا.. وأنا لا أثق بك.

التوت عضلات فمه الرقيقة، وبدت السخرية في عينيه مجدداً.

ـ ألا تثقين بي غابي؟

جعلها الدفء الكسول، البطيء في صوته تشعر بالضعف والدوار. لم يسمعها هذا الصوت الحميم المداعب منذ مدة طويلة. حين كانت صغيرة، كان يداعبها دائماً، ويتسلى برؤيتها تغضب.

تحرك روبي قلقاً.. ينظر من أحدهما إلى الآخر. ثم سأل بقليل من

الغضب:

ـ حسن جداً.. سوّي الأمر إذن، أليس كذلك؟

أدارت رأسها وكأنها مذهولة لوجوده وتمتمت:

ـ أجل.. أجل.. سوّي الأمر.

ابتسم، وعيناه تتراقصان:

ـ حسن جداً.. إذن نحن مخطوبان.. وسأتمتع بهذا.

ثم انحنى يعانقها.

* * *

٥ ـ الكذبة الكبرى

أبدى السنيور سالتيني اهتماماً ساحراً حين سمع الخبر.

ـ عمّتكم..؟ أوه.. كم هذا سيء! أجل بالطبع.. يجب أن تسافرا! المناسبات العائلية أهم من أي عمل.

وقبل يد غابرييل:

ـ ولسوف ننتظر عودتكما إلينا بشوق.. لقد اعتدنا على رؤية فتاتنا الإنكليزية هنا، هيه؟ سيفتقد عمالي رؤية الشعر الأحمر كل صباح.

وابتسم لكايل، الواقف يراقب من بعيد.

ـ إنها محبوبة جداً هنا.. كما ترى!

رد كايل متشدقاً:

ـ أستطيع تصور هذا.

نظرت إليه غابرييل ببرود.. ولم تفتها لهجته الساخرة، ولو أن السنيور سالتيني أخذ كلامه على محمل الموافقة.

كان روبي مشغولاً في المكتب، ينهي ما استطاع من أعماله المكتبية قبل السفر، هكذا عرض كايل على غابرييل أن يوصلها إلى المبنى الذي تحتل فيه غرفة.

كان كايل قد حجز لهما مكانين في طائرة العودة إلى الوطن.. وسيمضي ليلته في فندق فخم قرب البحر.. كانوا سيقصدون المطار باكراً في اليوم التالي، وكان على غابرييل أن توضب أغراضها ذلك المساء.

قال كايل وهو ينعطف عند زاوية بسيارته المستأجرة:

www.elromancia.com

ـ هل تتناولين العشاء معي؟

ـ لا . . لدي أشياء كثيرة أفعلها .

أوقف السيارة خارج المبنى، فاستدارت غابي لتفتح الباب، لكنه مال عبر المقعد ليسد عليها الطريق، واستندت ذراعه بثقل عليها، وسأل ببرود:

ـ هل هناك سبب لنكون عدوين؟ كان يجب أن أقول إنني أنا الحزين . . لكنك تتصرفين وكأنني أصبتك بجرح بالغ . . لطالما سمعت أن المرء لا يستطيع الغفران لمن جرحه لكنه يغفر لنفسه جرح غيره . . وأعتقد أن هذا القول ينطبق على النساء .

نظرت إليه ببرود عبر رموشها:

ـ لا أظن أن هناك أي شيء نقوله لبعضنا، كايل . . تحت سحر الافتتان . . ظننت هذا يوماً . . لكنني الآن أصبحت أكثر حكمة .

ضحك بطريقة تثير الأعصاب:

ـ تحت سحر الافتتان؟ أنت تتكلمين بكلام دراميّ من العصر الڤيكتوري .

ـ وأنت تتصرف بتلك الطريقة .

ودفعت ذراعه التي تسد طريقها:

ـ هل لي أن أخرج الآن؟

أبعد ذراعه فنزلت بسرعة، تصفق الباب خلفها . وهي تركض صعوداً على السلم سمعت صوت محرك السيارة، ورأتها تبتعد .

وضبت أغراضها وتركتها مع مدير المبنى ليخزّنها لها حتى عودتها . . ستأخذ بضع ثياب معها وبعض الهدايا التذكارية التي اشترتها للعائلة .

جلست على سريرها، تتحسس المشلح الأبيض المخرم الذي اشترته للعمة آنيت . . تتساءل كم ستعيش لترتديه . بدا لها من المستحيل تصور العالم من دون العمة آنيت، لتبدي الإعجاب وتواسي، أو تضحك لنكتة . . كانت العائلتان تبدوان عائلة واحدة بالنسبة لها حين كانت صغيرة، فهما دائماً معاً . حين لا يكون كايل عندها، تكون هي عنده . . ولطالما كانت

العمة آنيت هناك، تراقبهما بلطف وهما يلعبان .

ارتجفت غابرييل وهي توضب الشال . . لماذا يشيخ الناس؟ وأحست كأن شخصاً يسير فوق قبرها هي . . وشعرت بقشعريرة فوقفت أمام النافذة تنظر إلى السماء الإيطالية الهادئة .

كانت الرحلة مريحة . . لكن قبل أن يصلوا واجهتهم عاصفة، فتوترت أعصاب غابرييل، وهي ترى لمعان البرق قريباً جداً . تمسكت بذراعي المقعد، تشد أسنانها لكي تحارب الذعر الذي يداهمها . . وقالت لنفسها بحزم . . لن أخاف . . لكنها كانت صيحة ضائعة في الظلام، فالعواصف دائماً كانت تخيفها .

مال كايل ينظر إليها:

ـ هل أنت بخير؟

حاولت غابي أن تبتسم، لكن فمها ارتجف دون إرادة منها، وتمتمت:

ـ أجل .

مد يده عبر روبي النائم . . نظرت إليها لحظة، ثم وضعت يدها في اليد السمراء الطويلة الأصابع، مع تنهيدة شكر . . ضغط على يدها بلطف، ثم استرخت قبضته . استلقت إلى الوراء قليلاً وأغمضت عينيها . الاتصال الإنساني هدأ روعها قليلاً .

لطالما كرهت الطيران، وخاصة في الطقس العاصف . . كانت معدتها تنكمش وتدور وكأنها آلة الغسيل، وأصبحت بشرتها باردة رطبة .

بالسرعة التي دخلت فيها الطائرة العاصفة خرجت منها . . وبلطف، سحبت يدها من يد كايل . . مبتسمة شاكرة .

هز رأسه، وعاد إلى مجلته . . نظرت حولها، فرأت فتاة في مقعد مجاور تنظر إلى كايل باهتمام ظاهر، وإعجاب . . شيء ما في نظرتها، جعل غابرييل تعيد نظرها إليه . . لا عجب إن وجدته فتاة غريبة جذاباً . إنه رجل رياضي نحيل، واثق من نفسه، محاط بهالة من الجمال والرجولة .

رفع نظره ليلتقي نظراتها . . حدقا ببعضهما لبضع ثوانٍ بدون أي

تعبير. ثم أشاحت غابرييل نظرها محمّرة الوجه..

بماذا يفكر وراء هذا القناع الجامد؟ أي نوع من الرجال هو حقاً؟ حياة كاملة من الخبرة فصلت الصبي الذي تعرفه عن الرجل الذي التقته مرة أخرى، ووقعت في حبه بتلك السرعة، وبجنون.

كانت العمة آنيت مستلقية على الوسائد.. ضئيلة الجسم، بيضاء، ضعيفة، بحيث أحست غابرييل بيد عملاقة تسحق قلبها إشفاقاً وحزناً. لكن الحلاوة والاهتمام لم يفارقا العينين الزرقاوين الباهتتين، وهي تقبل خدي غابرييل.

ـ مخطوبة لروبي..! وبهذه السرعة!.. أوه.. لست أنتقدك بهذا عزيزتي.. على الشبان أن يختاروا طريقهم، لكنني كنت أقول...

تنهدت:

ـ حسناً.. لا بأس! إنها حياتك، على كل حال.

نظرت إليها غابرييل بمحبة:

ـ جئتك بهدية عزيزتي.

بدا على العمة آنيت الافتتان:

ـ هدية؟ هذا لطف كبير منك غابي!

أخذت الهدية الملفوفة بالورق، ونظرت إليها برّاقة العينين.. ضغطتها بلطف تتفحصها:

ـ ماذا يمكن أن تكون؟

ثم بدأت ببطء تفتح الطيات الورقية، تفك بعناية الشريط الحريري الأزرق. وجلست غابي على حافة السرير، تراقبها بعينين حزينتين.

ـ أوه!

بتنهيدة صغيرة نفضت العمة آنيت آخر الطيات الورقية، وملست القماش «الدانتيل» المخرم بيدها الضعيفة المجعدة.

ـ أوه.. إنه جميل جداً! سأشبه الملكة حين أضعه.. ألن أكون هكذا؟

ساعدتها غابرييل لتلفه على كتفيها، ثم أحضرت لها مرآة يدوية،

لتتفحص نفسها بعينين ثاقبتين.

قالت غابرييل تفتح يديها:

ـ ستجتمع الحاشية كلها بعد الظهر.. روبي يريد المجيء لرؤيتك وقت الشاي.

هزت العمة رأسها:

ـ يجب أن تأتيا معاً.. سيكون هذا رائعاً.. وسأتمتع به.

واستلقت إلى الوراء مع تنهيدة ارتياح، وكأن الجلوس أتعبها، ولو لحظة.

سألت غابرييل:

ـ أترغبين في أن تنامي؟ هل أذهب؟

ـ لا عزيزتي.. إبقي وتحدثي معي.. أنا أضجر هنا لوحدي.. كائلين مشغولة جداً كما تعرفين. هذا المنزل كبير جداً بالفعل. كريس طيبة جداً، لكن لديها عملها.. كان لأمي بضع شالات جميلة، حين كنت صغيرة.. أحضرتها من الهند.. كانت من حرير، مع أهداب طويلة.. ويا لها من ألوان رائعة! كنت أنظر إليها بشيء من الحسد!

ابتسمت غابرييل:

ـ كانت النساء يرتدين ملابس جميلة في العهد الڤيكتوري.. أليس كذلك؟

ـ أوه.. جميلة جداً عزيزتي! يمكنك أن تتخيلي! لكن، مع أنها كانت تبدو رائعة، كانت ثقيلة ومزعجة.. وتقيّد حركات النساء.

تابعت العمة كلامها حول الماضي لفترة، وصوتها ينخفض بالتدريج حتى غلبها النعاس.. فتوقفت عن الكلام، واستلقت ساكنة.

بخفة، لفت غابرييل الأغطية حول كتفيها، ثم تسللت إلى خارج الغرفة وأقفلت الباب وراءها بلطف. حين نزلت إلى غرفة الجلوس، وجدت كايل وفيليس جالسين هناك، يحدقان ببعضهما بصمت متجهم.

نظر فيليس إليها من تحت حاجبيه الكثيفين:

ـ أوه.. هذه أنت غابي! حسناً يا فتاتي.. كيف حالها؟

ردت بحزن:

ـ ضعيفة جداً.

رد بلهجة متوترة:

ـ أعرف هذا..! أعني كيف حالها نفسياً! هل هي مبتهجة؟

قالت غابرييل:

ـ تبدو مبتهجة جداً، كانت تتكلم عن الماضي معظم الوقت..

سأل بصوت حاد:

ـ ما المبهج في هذا؟ لطالما كانت آنيت حمقاء عاطفية.

وقف وهو يتنفس بصعوبة، يفرد كتفيه، مرتكزاً على عصاه.

ـ حسناً.. سأخرج لأتمشى في الحديقة.. يجب أن أبقى في صحة جيدة.. لا جدوى من أن أمرض أنا كذلك.. صحيح؟

وقف كايل:

ـ هل أتمشى معك.. سيدي؟

التفت فيليبس إليه بغضب:

ـ لا.. اللعنة عليك! أنا لم أعجز بعد! ولا أحتاج إلى من يرعاني.

نظر إلى كايل، وأكمل:

ـ حاول أن تعقّل هذه الفتاة السخيفة.. إذا تزوجت ذلك الولد ذا العقل المحدود روبي، ستندم طوال حياتها.

تصلبت غابرييل، لكنها لم ترد.. فبالرغم من طريقة تصرفه القاسية، كانت ترى أن مرض أخته قد آلمه كثيراً.

بعد أن خرج من الغرفة، أشار كايل إلى كرسي.

ـ ذهب روبي إلى المصنع هذا الصباح، وسيعود وقت الغداء.. من الأفضل أن تبقي هنا.

قالت وهي تجلس:

ـ تبدو العمة آنيت واهنة جداً.

أطرق برأسه:

ـ أجل.

قالت بعد صمت:

ـ أظنها تقبلت قصة الخطوبة.. في البداية دهشت، لكنها كانت قلقة عليك.. كانت تظن أنك طرت إلى إيطاليا لأجلي.

رد باقتضاب:

ـ أعرف.

نظرت إليه:

ـ هل أنت واثق من أنها تصدق فكرة تحسّن صحتها؟ تبدو وكأنها تعيش في الماضي.. وكأنها تخلت فعلاً عن الحاضر.

ـ إنها خائفة جداً من الموت.. قالت لي هذا مرة. يوم كسرت ساقها منذ سنوات.. كانت في حالة ذعر صادم.. جلست معها طوال الليل.. ولا أحب أن أراها هكذا مرة أخرى.

ـ لا.. إنها رقيقة ولطيفة جداً.. ولطالما كنت مولعة بها.

ـ أخذت مكان أمي بالنسبة لي.. أنا مدين لها بالكثير ولا أستطيع أن أفيها حقها.. لقد جعلت طفولتي أكثر سعادة مما كان يمكن أن تكون.. فيليبس كان طيباً جداً معي طبعاً، لكن لم تكن له فكرة عن كيفية معاملة طفل.. كان يأمر ويهدد معظم الوقت.. ومن حسن حظي أن العمة آنيت كانت هنا لترعاني.

نظرت إليه مفكرة، لا بد أن طفولته كانت متجهمة بعد أن فقد والديه في سن مبكرة.. لم تكن تعرفه يومها، لقد دخلت حياته بعد أن دخل سن المراهقة.. كان في العاشرة حين ولدت.. وأول ذكرى له تعود إلى عيد ميلادها الثالث، فقد رمته بقطعة حلوى. حينها كشر وجهه، يشعر بالتسلية والتسامح معاً.

تساءلت.. كيف يتذكّرها؟.. في الواقع علاقتهما كانت غريبة.. تلك العلاقة بين صبي مراهق، وفتاة صغيرة جداً. كان صديقاً، وحارساً،

www.elromancia.com

وعدواً، في آن معاً.. ودائم التواجد حين تحتاج إلى المساعدة، دائم التواجد للألعاب.. وراء تصرفاته المزعجة أحياناً، نزعة مختبئة إلى الشهامة، تظهر إلى العلن متى كانت في ورطة.. وكل هذا انتهى في وقت ما.. لكن متى؟ حين ذهب إلى الجامعة؟ أم بعد أن دخل روبي إلى الصورة؟ هو بسنها تقريباً ويلازمها دائماً في غياب كايل.

كان الغداء وجبة صامتة.. كان فيلبس معكّر المزاج. حاجباه متلاصقان.. وكايل متحفظ مثله، وحدها العمة كاتلين كانت طبيعية.

كانت العمة كاتلين تعامل غابرييل كما كانت تعاملها دائماً.. تبتسم وهي تمرر لها السلطة، ونظرتها متقبلة.

كانت غابرييل تعرف أن روبي هو قرة عين أمه. أي شخص يحبه، يصبح محبوباً من كاتلين دولتون، وبالطبع لن تعرف أن الخطوبة مجرد خدعة لإرضاء العمة آنيت، ولإعطائها راحة بال مؤقتة.

ساعدتها غابرييل على غسيل الصحون بعد العشاء. وقالت لها، وهي تضع الصحون لتجف:

ـ هذا ألطف مطبخ رأيته.

هزت العمة كاتلين رأسها:

ـ لقد صممه كايل بنفسه، وهذا لطف وذكاء منه.. جعلني أعمل أمام عينيه لنصف ساعة، لكي يعرف أفضل تصميم.. وبالطبع، لون المكان مهدىء جداً في صباح يوم عاصف.. إنه يعطي انطباعاً بأن الشمس مشرقة، مهما كانت حالة الطقس.

ـ كايل موهوب جداً.

نظرت إليها العمة كاتلين بدهشة.

ـ عزيزتي.. هل أنت واثقة من شعورك نحو روبي؟ أعني.. حصل هذا في وقت قريب جداً.. حسناً.. أنا لا أعني الانتقاد حقاً.. وسأكون سعيدة جداً بأن أراك وروبي متزوجين. لكن...

لاقت غابرييل عينيّ كاتلين بصراحة:

ـ بعد كايل؟ أفهم شكوكك.. وسأعدك بأنني لن أتزوج روبي إلا إذا كنت متأكدة نهائياً من أنني أحبه.

تنهدت كاتلين:

ـ وأنت لست واثقة بعد؟

ترددت غابرييل.. فهذه الخطوبة المزيفة تبدو محرجة أكثر فأكثر. لقد نسي كايل وهو يدبر مكيدته مع روبي، أن العمة آنيت ليست الوحيدة التي ستتأثر بالقصة.. ولا شيء يحدث في فراغ.

قالت بعد لحظة طويلة:

ـ لست واثقة بعد.

بدا الانزعاج على كاتلين:

ـ وهل يعرف روبي هذا؟

هزت غابرييل رأسها:

ـ أوه.. أجل.. إنه يفهم.

ـ حسن جداً.. هذا يتخطاني.

وأقفلت باب خزانة المطبخ بقوة.

نظرت غابرييل إليها بأسف:

ـ أنا آسفة.. وأعرف كيف يبدو هذا..

قاطعتها العمة كاتلين:

ـ أنتم الشبان لا تتوقفون عن إرباكي.. وأعرف أن لا جدوى من طلب التفسير.. فلن أحصل على الحقيقة.. لا منك ولا من روبي.. تبدو لي القصة غامضة.

تنهدت غابرييل:

ـ أنا آسفة.

حاولت غابرييل فيما بعد أن تشرح لروبي مشاعر الارتباك التي تنتابها:

ـ أمك الآن تعتقدني غير صادقة.. إنها ممتعضة.

رد بسهولة:

ـ أوه.. ستفهم فيما بعد. لا داعي لنظرة البؤس هذه، خضراء العينين، الأهم هو أن العمة آنيت تصدق.. فقد سألتني بعد ظهر اليوم عما إذا كنا سنبقى في انكلترا طويلاً.. وهل سنقيم حفلة إعلان الخطوبة.. تبدو متحمسة لهذه الفكرة.. قالت إن بالإمكان إقامتها بعد أن تغادر الفراش.

تأوهت غابرييل بعذاب:

ـ أوه.. لا.. يا للعزيزة المسكينة!

لف روبي ذراعه حولها:

ـ لا تبكي حبيبتي.. تبدو سعيدة جداً.. لو سألتني، نحن قلقون أكثر منها!

ـ هذا لأنها تظن أن صحتها ستتحسن.

تجهم وجهه:

ـ أجل.. أعتقد هذا، وبالطبع لن نستطيع البقاء طويلاً.. يجب أن نعود بعد أسبوع تقريباً.. فإذا لم نعد، ستثير شكوكها.. يجب أن نستمر في الادعاء لفترة أطول.. وتدركين هذا.

تنهدت:

ـ يعتقد كايل أن الأمر لن يطول كثيراً.. الأطباء يعتقدون أنها مسألة بضع أسابيع.

صمتا فترة، وجاءت كريس ببطء من وراء زاوية المنزل.. ولاحظت غابرييل أمارات البؤس على وجهها، التي اختفت ما إن شاهدتهما.

ابتسمت بإشراق مبالغ فيه.. وتقدمت إليهما قائلة:

ـ مرحباً غابي! رائع أن أراك مجدداً.

ردت غابرييل الابتسام:

ـ كيف حالك؟

ـ أوه. أنا بخير.

كان صوت كريس مرتفعاً قليلاً، لكنها قابلت عيني غابرييل مباشرة،

ودون أية دلالة على المشاعر التي تعرف غابرييل أنها مخبأة في نفس كريس.

تساءلت غابرييل، مرتبكة وغاضبة، ما الذي يخطط كايل له؟ فهو يترك كريس معلقة هكذا وهو الآن حر ليتزوجها إذا أراد.

إذا اختار هذا! فما هي المشكلة؟ ألم يختر كايل أن لا يتزوج قريبته لأن لا فائدة لها بالنسبة لمستقبله المهني؟ لن تأتيه كريس بأي شيء.. فهي لم ترث الكثير من أسهم تايسون، ولا شيء تقوله له سوى الحب.

اشتعل الاحتقار ليحرق صدرها.. كم هو قذر بغيض.. وكم خدعها يوماً!

نظرت إلى كريس ملياً.. لقد خسرت الكثير من وزنها!.. لم تعد تبدو تلك الفتاة السمينة الضاحكة التي رأتها آخر مرة مع كايل.. كانت يداها نحيلتين رقيقتين، خصرها شديد النحول.. وبالرغم من مظهر البؤس والقلق، كان جمالها من نوع جديد، جسمها النحيل أعطاها تأثيراً أفضل بكثير.

سألتها كريس فجأة:

ـ كيف حال جوش؟

ـ أوه.. جيد جداً.. ألم تريه في المصنع؟

احمر وجه كريس:

ـ لا.

احتارت غابرييل لحظة، ثم فهمت.. بالطبع، تشعر كريس بالذنب تجاه العائلة التي جرحت ابنتها. مسكينة كريس! حبها السري لكايل آذاها كثيراً، ومن الواضح أنه يثقل كاهلها، مما يجعلها متوترة وتعيسة. كيف يمكن لكايل أن يترك هذا يحدث لها؟

ابتعد روبي قليلاً لينظر إلى الزهور بإعجاب. فنظرت كريس جانبياً إلى غابرييل.

ـ غابي.. أنا.. هناك شيء أردت دائماً أن أقوله لك.. لكنني بطريقة ما لم أستطع.

أطبقت حنجرة غابرييل.. هذه هي اللحظة! أخيراً ستعترف كريس بالحقيقة، وتُخرج كل شيء إلى العلن.. وأحست بغصة مؤلمة.. ثم إحساس غثيان مريع.. أي شيء أفضل من الشك، هذا العذاب الغبي من عدم الثقة، يكاد يشعلها عاطفياً.

سألت بلطف تهز رأسها بطريقة مشجعة:

ـ رجل كريس..؟

كانت كريس ترتجف بشكل ظاهر.. أصابعها تهتز حتى أنها اضطرت إلى شبكها معاً في حجرها.

ـ أنا.. إنها مشكلة شخصية.. ولست واثقة من ردة فعلك.. أنت واثقة جداً من نفسك. ذكية واثقة.. أنت وكايل..

وتلاشى صوتها.. للحظة جلست ورأسها منحنٍ، لا تقول شيئاً.

وضعت غابرييل يدها على ذراعها تحثها:

ـ هيا.. تابعي.. أنا وكايل.. ماذا؟

ـ كنتما.. متشابهين.. ناجحين في إدارة حياتكما. بينما أنا خجولة، وغبية قليلاً. حتى أنني ارتكبت غلطة الوقوع في الحب..

صمتت مرة أخرى، ثم أكملت بسرعة:

ـ هذه هي المشكلة.. أترين.. أعني هذا ما أردت أن تعرفيه.. حين فسخت خطوبتك مع كايل، لا يمكنك أن تتصوري بماذا أحسست.. أنا آسفة بالطبع.. أن هذا حدث لك. لم يكن شعوري بالارتياح أنانياً غابي، لكن لو عرفت كم ارتحت!

بهدوء قالت غابرييل:

ـ وبعد.. كريس؟

ضحكت الفتاة بصوت متصلب غاضب.

ـ طريقة سردي للأمور تبدو أنانية جداً.. لكن في الواقع، كنت حزينة جداً لك.. لكن ما حدث جعلني أشعر أنني لم أعد غير ملائمة.. إذا كنت أنت قد ارتكبت غلطة، إذن، لا داعي لأن أشعر أنني عديمة الفائدة. هل

أبدو قاسية لا أهتم سوى بنفسي؟

ـ بالطبع لا.. هذا شعور إنساني! لكنك كنت مخطئة حولي، على أي حال. أعتقد أننا نميل دائماً إلى الظن أن الآخرين أكثر كفاءة وأكثر تكيفاً منا.. لا يمكن أن نرى ما هو تحت السطح الذي يظهرونه لنا.. إنهم يمثلون علينا ونحن نصدق.

نظرت إليها كريس متفحصة آملة:

ـ وهل كانت تمثيلية؟ هل جو الثقة بالنفس مجرد تمثيلية غابي؟

ـ معظم الوقت!

ـ لا أصدق أنك تشكين بنفسك مثلي أنا. فالبداية تجعل الفتاة غير واثقة من نفسها.

ضحكت غابرييل:

ـ أنت بكل تأكيد لست سمينة الآن.. تبدين نحيلة جداً وأنيقة.. لاحظت هذا منذ قليل. هل كنت تتبعين الحمية؟

هزت كريس رأسها نفياً:

ـ لا.. ولو أنني أكثر نحولاً الآن.

ـ وهل ستخبريني عنه؟

احمر وجه كريس بشدة:

ـ عنه؟

ـ عن الرجل الذي وقعت في حبه، طبعاً.

من خلفهما سمعنا صوت كايل يتصاعد وهو يتحدث إلى روبي.. لقد خرج من المنزل دون أن تسمعه أي منهما.

نظرت إليها كريس متوترة وقالت بسرعة:

ـ أوه.. لا.. أنا.. لا أستطيع.. ليس لك!

سألت غابرييل ببرود:

ـ ولم لا؟ ظننت أن هذا ما كنت تنوين فعله؟ كنت تريدين إخباري عنه.. أليس كذلك؟

عضت كريس شفتها:

ـ لقد نسيت أن.. على أي حال، كانت فكرة سخيفة. أنت آخر من يمكن أن أتكلم معه!

ثم قفزت واقفة، لتركض إلى داخل المنزل، دون كلمة أخرى.

***

٦ ـ ترتجف كورقة شجر!

قال فيلبس متوتراً:

ـ لماذا تصر آنيت على فكرة حفلة الخطوبة؟ قد يعتقد من يسمع أنها هي التي تخطط للزواج!

تنهدت غابرييل:

ـ لديها هاجس حول الأمر.. لكن إذا كان ذلك يسعدها فلا بأس.

قال كايل بجفاء:

ـ لا.. مطلقاً، لا نريد أن يخرج خبر هذه الخطوبة خارج العائلة.

نظر إليه فيلبس متسائلاً:

ـ همم.. ولماذا؟

دخل روبي الغرفة، وجلس على ذراع مقعد غابرييل، وسأل:

ـ أجل.. لماذا؟

واجه كايل عيني روبي المتراقصتين بالخبث، ورد بصوت عدائي:

ـ تعرف تماماً لماذا؟

قال فيلبس:

ـ أنا لا أعرف.. أخبرني!

ساد الصمت.. وقالت غابرييل بوجه شاحب غاضب:

ـ لأن.. المسألة كلها مزيفة!

ضحك:

ـ يا إلهي! أتقولين هذا؟

www.liilas-romancia.com

ـ وهل كنت تعرف؟

ـ شككت بالمسألة.. كان الإخراج مبالغاً فيه. سفر كايل فجأة إلى إيطاليا، والعودة بكما، وقصة مطبوخة حول الخطوبة!

سألت بذعر:

ـ لن تخبر العمة آنيت.. أليس كذلك!

بدا الغضب على فيلبس:

ـ لا.. بكل تأكيد! وما الغرض من كل هذا؟

ونظر إلى كايل، الذي قال شارحاً:

ـ كان عليّ أن أعود بهما.. لم أستطع ترك العمة آنيت تموت دون رؤيتهما.. لكن لو عادا في وقت قريب، لعرفت أن مرضها أسوأ بكثير مما تتصور.

قال فيلبس:

ـ ما كان يجب أن ترسل روبي إلى إيطاليا أصلاً.

ـ لم أكن أعرف أن العمة آنيت كانت مريضة إلى هذا الحد.. وإلى أن عرفت، كان الوقت قد فات لتغيير الخطة.

توقف صوته فجأة، وقطب، وكأنه يحاول كتم شيء.

سأل فيلبس ساخطاً:

ـ وما الذي جعلك تخترع مسألة الخطوبة الزائفة؟

نظر كايل جانبياً إلى غابرييل، وابتسامة ماكرة على فمه القاسي.

ـ بدت لي فكرة جيدة وقتها. على الأقل، أعطت العمة آنيت شيئاً تفكر به.. وأبعدت تفكيرها عن المواضيع المحبطة.

قال فيلبس:

ـ كلنا سنموت، ويجب أن تواجه آنيت هذا.. لا يجب التهرب من الحقيقة.

صاحت غابرييل:

ـ كيف يمكن أن تكون قاسي القلب هكذا؟ إذا كنت قوياً بما يكفي

لتحمل الحقيقة فهذا لا يعطيك الحق في انتقادها، بعض الناس أكثر رهافة من غيرهم، وغالباً ما يجعلهم هذا أكثر إنسانية.. الأقوياء ليسوا محبوبين كثيراً.

بدت التسلية على فيلبس:

ـ هل هذا التقريع موجّه لي.. أم لكايل؟

احمر وجهها، تدرك أنها قالت أكثر مما تقصد.

ـ تكلمت بصورة عامة.. لكن إذا كان الكلام مناسباً..

ضحك روبي:

ـ أنت الجاني على نفسك فيلبس!

نظرت إليه العينان العجوزتان الحادتان:

ـ أصمت يا ولد! لقد تصرفت بشكل غير مسؤول أبداً. ليس من حقك سرقة فتاة كايل.

احمر وجه روبي ونظر بغضب إلى العجوز، وقال بحرارة:

ـ اسمع الآن..

وقف كايل يقول بصوت بارد وقح:

ـ هذا يكفي! الخلاف العائلي لن يساعد العمة آنيت.. بينما هي بحاجة إلى راحة البال. سوف نستمر في توفير راحة البال لها.. قد تكون ضعيفة الخيالية التفكير، كما تقول فيلبس، لكنها عزيزة على قلوبنا جميعاً.. كما أعتقد.

وجالت عيناه الزرقاوان الباردتان من وجه إلى آخر، وحاجبه مرفوع بتساؤل.

قالت غابرييل وهي تشعر بالخجل.

ـ أجل.. أوافق مع كايل. العمة آنيت في الدرجة الأولى.

قال فيلبس:

ـ حسن جداً.. ماذا عن حفلة الخطوبة إذن؟ كيف ستقنعونها بأن تتخلى عن الفكرة؟

www.al-mamenia.com

نظرت غابرييل إليه مشدوهة. وقال كايل:

ـ لن نحاول.. سنقول لها إننا نقيم الحفلة.. ثم سنقيم حفلة عائلية هنا.. وستسمع الموسيقى والأحاديث، وهذا ما سيجعلها سعيدة بما يكفي.

شخر فيلبس ساخراً:

ـ افعل ما شئت.. أغسل يدي من كل هذا العمل السخيف.

وقف:

ـ أعطني ذراعك روبي.. سأقوم بجولة في الحديقة.

ساعده روبي بطاعة نحو الباب. واستدار فيلبس ونظر إلى غابرييل من تحت حاجبيه المقطبين:

ـ العمة آنيت كانت ستكون أكثر سعادة لو أنك تزوجت كايل.. أنت حمقاء أيتها الفتاة.. حمقاء صغيرة سخيفة.

ساد صمت طويل بعد خروجه.. وتحركت غابرييل دونما ارتياح، في مقعدها، تتساءل بماذا يفكر كايل.

أخيراً، رفعت نظرها لتجد عينيه مثبتتين على النافذة، يفكر بهدوء.. وبدا كأنه لا يعي وجودها.

فجأة سألها، وهو يستدير ليواجهها:

ـ ماذا كانت كريس تقول لك بالأمس؟

احمر خدّاها:

ـ كريس؟

ـ أجل! كريس!

العينان الزرقاوان الباردتان امتلأتا فجأة بالخبث.

ـ كنتما في حديث حميم وعميق، حين رأيتكما.. هل كانت تقص عليك قصة حياتها، أم كنت تريحين نفسك من أعباء سرّ ما؟

إنه يحاول أن يعرف كم كشفت لها كريس..

ـ كانت تتكلم عن مسألة خاصة.

ـ بدت عليكما الجدية.

حاولت إبقاء وجهها وصوتها دون تعبير:

ـ حقاً؟

ـ كريس قلقة جداً على العمة آنيت.. ولطالما كانت متعلقة بها، طبعاً.. وأخشى أن تكون قد اكتشفت كم أن العمة مريضة، قبلنا جميعاً.. لقد أخبرها الدكتور كلنت.

وتجهم وجهه عبوساً.

كانت غابرييل تعرف الدكتور كلنت من سمعته، لكن والديها لم يكونا يوافقان عليه.. كان شاباً شرساً، وخشن الطباع.. كان والدها يقول دائماً إنه لا يتحلى بالأخلاق الطبية.. والدكتور كلنت عصري جداً لا يهتم لهذه المسألة.

قالت:

ـ يدهشني أن الدكتور كلنت لم يصارح العمة آنيت؟.. والدي يقول دائماً إنه صريح جداً في تعامله مع مرضاه.. وهو مشهور بأخلاقه الحادة المتطرفة.

ـ أجل.. يمكنه أن يكون صريحاً إلى حد القسوة.. لكن ليس مع سيدة عجوز مثل العمة آنيت.. ولقد دهشت من لطفه ورقته معها، وهو الذي قال لي أن نتركها تأمل.. قال إن الأمل هو الدواء الوحيد الباقي لها.

قالت غابرييل بهدوء:

ـ يبدو هذا تفهماً إنسانياً كبيراً.. وربما تكون سمعته غير منصفة. بالطبع، والدي قديم الطراز في نظرته إلى ما يجب على الطبيب أن يكون. إنه يفضل الأخلاق الدمثة، وكمية من السكر مع الدواء.

ـ أنا لا أدافع عنه.. وهو لا يعجبني.

نظرت إليه بدهشة:

ـ لا؟ ولماذا؟

تردد كايل، ثم قال فجأة:

www.elromancia.com

ـ أوه.. لأسباب شخصية.

بعد العشاء ذلك المساء، تطوعت غابرييل لغسل الصحون وصنع القهوة، بينما جلست العمة كاثلين مع العمة آنيت في غرفتها. كانت غابرييل تتناول كل وجباتها في «وايت برايرز» في الوقت الحاضر لأن العمة آنيت تسعد برفقتها، ويعطي هذا كاثلين فرصة لترتاح من واجبات التمريض.

دخل كايل إلى المطبخ يجفف لها الصحون، ثم استند إلى الجدار يراقبها بكسل، وهي تصنع القهوة. وجدت من الصعب أن تركز على ما تفعله وعيناه الساخرتان عليها.. وبدا جذاباً بالكامل.

كانت قد أنهت ترتيب الفناجين على الصينية وهمّت أن تحملها إلى غرفة الجلوس، حين تحرك كايل بسرعة البرق ليسبقها. فرفعت نظرها إليه بدهشة لتجد وجهه على بعد إنشات من وجهها.

تمتم، وعيناه ساخرتان:

ـ جميلة غابي.. أتعرفين ماذا تفعلين بي؟ أيتها الحمراء الشعر الرائعة الجذابة؟

رفعت يديها على صدره لتدفعه عنها.

ـ دعني أذهب كايل! ماذا تظن نفسك تفعل؟

ضحك، ودس يديه حول خصرها بأسرها، عالقة بين جسمه وخزانة المطبخ.

قال لها بصوت دافىء مداعب:

ـ أفعل ما كان يجب أن أفعله منذ زمن بعيد.

أحست بلهفة للحب والشوق للحظة رهيبة واحدة... ثم تذكرت كريس، وتحولت عيناها إلى هزء مرير:

ـ دعني وشأني.. وإلا سأركلك!

اقترب وجهه أكثر.. اللمعان في عينيه الزرقاوين أصابها بالدوار.. ووجدت نفسها تنظر إلى فمه الجميل الخطوط.. وعرفت أنها لو بقيت بين

ذراعيه ثانية أخرى.. ستتخلى عنها ركبتاها.

ركلته على كاحله بقوة، وأبعد ذراعيه بئن ألماً.. التوت مبتعدة عنه وأخذت علبة السكر، ووضعتها على الصينية.. قال من خلفها:

ـ أيتها المتوحشة الصغيرة! كان يجب أن أعرف أنك جادة.. أليس كذلك؟ كم مرة هاجمتني دون رحمة في الماضي؟ ما إن تعلمت المشي حتى هاجمتني.

قالت، ترفع رأسها:

ـ تستأهل كل صفعة.

تمتم بهدوء:

ـ على أي حال غابي.. أنت لا تخدعيني..! أنت تريدينني أن أعانقك.. كنت ترتجفين كورقة شجر.

أرادت أن تركله مرة أخرى.. وقالت ببرود:

ـ وقاحتك مذهلة! لو كنت أرتجف، فمن الغضب!

سرق قطعة سكر وأخذ يقضمها وهو ينظر إليها. وابتسامة صغيرة من التسلية المثيرة للسخط تلوح على فمه.

ـ حقاً؟

ـ أجل.. ويمكنك شطب اسمي عن لائحتك كايل! فليس لدي النية في العبث معك في الزوايا.

اشتد برود العينين الزرقاوين:

ـ أنت تتخذين موقفاً نبيلاً، وعفيفاً غابي.. وسامحيني إذا وجدت هذا الموقف مشكوكاً به.. هذه المبادىء لم تمنعك من العبث مع روبي وأنت مخطوبة لي.. أليس كذلك؟

ـ وماذا عنك؟

بدا مشدوهاً:

ـ أنا؟

ـ أجل أنت. يبدو أنك تتصور أن القوانين وضعت للآخرين فقط..

وليس لك أبداً!

- عمّ تتحدثين بحق السماء؟

تماسكت، وعضت شفتها، ثم أدارت رأسها بعيداً عنه وأخذت الصينية تسير نحو الباب.

- أوه.. إنس الأمر.. فليس مهماً. أنت لا تستحق أن يزعج المرء نفسه بك!

لحق بها، لكن، وهي تستدير، حذرة من النظرة المليئة بالمشاعر في عينيه، فتح روبي الباب ودخل.. نظر إلى كايل نظرة ارتياب.

- ماذا يجري هنا؟

تجاوزهما كايل دون كلمة، فارتاحت غابي.

- لا شيء روبي.

وتنهدت.

في اليوم التالي، ذهبت في السيارة إلى القرية لتشتري بعض السمانة للعمة كاثلين، وأشياء أخرى تحتاجها أمها.

كانت المرأة في دكان القرية، السيدة بريدج، تطرح الكثير من الأسئلة عن كايل، روبي، والعمة آنيت. وكان من الواضح بشكل مؤلم أن أخبار الخطوبة الزائفة وبالرغم من كل الاحتياطات، قد تسربت. لم يكن الخبر مؤكداً بعد عند السيدة بريدج، لتجرؤ وتطرح سؤالاً مباشراً. لكن نظراتها الفضولية جعلت غابرييل تشعر بالحرج، فاندفعت تخرج من المحل دون أن تكمل التبضع، فإذا بها تصطدم بشاب ضخم الجثة، مما أرسل أكياس المشتريات تتطاير. تدحرج البيض على الرصيف، وتبعثرت حبات الطماطم، وتدحرجت زجاجة عصير البرتقال بعيداً إلى الطريق.

تأوه الرجل:

- أوه.. يا إلهي!

وركع على ركبتيه ليساعدها وهي تحاول متعثرة لملمة الأشياء.. وقال معتذراً:

- أنا آسف.

ردت:

- إنها غلطتي.. لم أكن أنظر أمامي.

رفعت نظرها إليه، وبدا لها أنها تعرفه:

- أنت الدكتور كلينت.. أليس كذلك؟

هز رأسه وابتسامة مفاجئة تنير وجهه.

- أجل.. وأنت غابرييل سمرفيلد. أليس كذلك؟ لقد شاهدتك في عدة مناسبات.

وقفت بعد أن جمعت أكياسها.. وأخذ ينظر إلى البيض والطماطم المحطمة على الرصيف. وقال آسفاً:

- لا أمل في إنقاذ هذه. فهل تسمحين لي بشراء غيرها لك؟

- لا.. شكراً لك. لا داعي لهذا.. حقاً.. الخسارة ليست كبيرة.

أخذ الأكياس من يدها:

- إذن دعيني أرافقك إلى سيارتك.

سارا عبر القرية إلى حيث تركت سيارتها. وسألها وهما يتوقفان قربها:

- كيف حال الآنسة تايسون؟

- إنها بخير.

ثم التقطت نظرة غريبة على وجهه.. وأدركت أن الرد الغامض الذي كانت تعطيه للجميع لن يرضيه، فقالت بسرعة:

- أنا آسفة.. لقد نسيت.. أنت تعرف الحقيقة! العمة آنيت أكثر ضعفاً، كما أعتقد.. صحيح أنها مبتهجة ومشرقة، لكنها تبدو أكثر وهناً كل يوم.

- أجل.. لقد رأيتها بالأمس، طبعاً لن يحدث أي تغيير الآن.. لكنني كنت أعني حالتها النفسية. تبدو أكثر سعادة منذ عودتك من إيطاليا، كانت بالأمس تكاد تطير بأخبار حفلة خطوبتكما.

عضت شفتها:

ـ حقاً؟ أوه.. يا إلهي!

رفع حاجباً مستغرباً:

ـ هل من مشكلة؟

ـ أوه.. لا.. لا!

بدا مكتفياً بهذا الرد:

ـ وكيف حال كريس؟ لم أرها منذ مدة.. لقد شاهدتها من بعيد في الأسبوع الماضي، وبدت لي متوعكة الصحة.

ـ ربما يزعجها مرض العمة آنيت.

كشر وجهه:

ـ أجل.. أعتقد أنني أخطأت في قول الحقيقة لها. نحن.. أنا.. يوماً، كنت وكريس صديقين مقربين، وأعتقد أنني أخطأت بحق شرف المهنة حين أخبرتها أن مرض العمة خطير!

قالت غابرييل:

ـ أعتقد أن كايل كان سيقول لها على أي حال.

هز الدكتور كلنت رأسه:

ـ لا.. فقد قال لي كايل إن كريس هي آخر من كان يجب أن يعلم.. إنها تشابه عمتها كثيراً.. ضعيفة جداً وأعصابها متوترة! ولقد أزعجها الخبر كثيراً.

كايل يحاول حماية كريس! لا بد أنه يهتم بها كثيراً.

تابع الدكتور كلينت ببطء:

ـ أنا لم أشاهد كريس منذ ذلك الوقت.. كنت أتمتع برفقتها، لو تعلمين.

يا الله! يا لهذه الورطة! واضح أن الطبيب كان يهتم بكريس.. وهو لا يعرف، ولن يشك أبداً، أنها تحب كايل!

الآن فهمت لماذا قطب كايل لذكر الدكتور كلينت. بالطبع، هو حسّاس حيال أي اهتمام من الرجال بكريس.. فهل يغار؟

وضعت مشترياتها في صندوق السيارة، وفتحت الباب.. سألت بأدب:

ـ هل أوصلك إلى أي مكان دكتور؟

هز رأسه:

ـ لا.. شكراً لك.. معي سيارتي.. ربما أراك مجدداً، حين أزور الآنسة تايسون؟

دخلت سيارتها:

ـ أجل، فأنا أقضي معظم وقتي في «وايت برايرز» طالما تحتاجني العمة آنيت.

عادت ببطء وأفكارها مشغولة. لم تسمح لنفسها أن تفكر كثيراً في تحرشات كايل بها مساء أمس، لكن الذكرى بقيت تتسلل إلى دماغها، فتجعل لونها يبهت ثم يعود.

فكرت بغضب: إنه مجرد رجل يرغب في الحصول على قالب حلواه ويأكله.. أعتقد أنه يتوقع مني أن أشعر بالرضى.. لكن بإمكانه أن يعيد التفكير بالأمر!

لم تبدل رأيها في الحب حتى الآن. فالحب أكثر أهمية من أن تحط من قدره كلمات مبتكرة جميلة الصياغة.. ولهذا، حين حاول كايل بالأمس معانقتها، غضبت، وأحست بالإذلال! كان يعرض عليها حباً باطلاً.. بينما مشاعره الصادقة لفتاة أخرى.

لقد كان هذا بالنسبة لها إهانة.. والأسوأ من ذلك أن جسمها الخائن تفاعل بابتهاج.. ومن حسن الحظ أنها تمالكت نفسها.. وإلا لكانت ماتت خجلاً لو ظهرت ردة فعلها الحقيقية. ومع ذلك، كانت أول ردة فعل غريزية على لمسته مشجعة بما يكفي.. واحترق خداها بالغضب حين تذكرت كلماته الراضية عن نفسه!

يا له من رجل مغرور! إنها تشفق على كريس التي تحبه بعمق وصدق، إلى حد المرض.. لماذا لا يتخلى كايل عن طموحه ويتزوج الفتاة؟

توقفت غابرييل خارج منزلها.. وحدّقت لوقت قصير خارج نافذة السيارة إلى ظلال الأشجار الباردة في الحديقة.. وفكرت بقلق: أوه.. أتمنى لو يسرع كايل ويتزوج كريس.. كي أستطيع أن أتحرّر وأنساه!

كانت أمها مشغولة في غرف النوم، حين دخلت كانت المكنسة الكهربائية تهدر من بعيد، وعندما نادتها غابرييل، أدارت السيدة سمرفيلد رأسها بدهشة.

ـ أوه.. مرحباً عزيزتي! هل أتيت بكل شيء؟

ـ لم أستطع تحمل المزيد من الأسئلة الفضولية.. فتوقفت عن الشراء.. وسأحضر الأشياء الأخرى غداً.

ـ حياة القرية محدودة جداً.. والناس يرغبون في معرفة كل شيء عن حياة جيرانهم.. ولهذا أكره الحياة في الريف.

ـ لأول مرة أوافق معك.. لقد التقيت بالدكتور كلينت.. بدا لي لطيفاً.

سخرت السيدة سمرفيلد:

ـ لطيفاً؟ إنه بغيض تماماً! جاء مرة إلى هنا وكنت مصابة بألم رأس حاد.. وكان فظاً معي. بدا وكأنه يعتقد أنني سخيفة متكاسلة، تحاول دائماً أن تثير ضجة حولها. هؤلاء الأطباء الشبان سيئو الأطباع، ويشبهون بعضهم.. يظنون أنهم يعرفون كل شيء.

ابتسمت غابرييل تهدئها.. لكن تقديرها للدكتور ارتفع مجدداً، فأمها دائماً تعاني من صداع الشقيقة حين يحاول أحد أن يفعل شيئاً لا توافق عليه.. كان هذا أحد أسلحتها ضد زوجها وولديها.. وغابرييل تعرف ذلك تمام المعرفة.. إنها بالطبع شغوفة بأمها، لكن هذا لا يمنعها من فهم الدوافع الخفية التي تتحكم أحياناً بتصرفها.

قالت بهدوء:

ـ يبدو أن الدكتور كلينت لا يحسن التعامل مع مرضاه.

ـ لم يسمع يوماً بالمعاملة الطيبة، إنه متوحش!.

ضحكت غابرييل.. ثم تجهمت مرة أخرى حين نظرت إليها أمها بحدة، وقالت بسرعة:

ـ أجل.. إنه وقح قليلاً.. أوافق معك.

صاحت الأم:

ـ بل هو وقح وفظ جداً.

أحست غابرييل ذلك المساء أنها تحتاج بعض الوحدة لتفكر.. لذا بدأت مسيرة متكاسلة عبر الحقول. راحت تسير على طريق ضيقة بمحاذاة حقول الشعير والقمح والشوفان المحصودة التي كانت منذ مدة ليست بعيدة تكسو الأرض بالذهب.

كانت حواجز الشجيرات الشائكة منتشرة هنا وهناك، وتفجعت غابرييل لرؤية آثار أعشاش الطيور مهجورة.. كل سنة يحرق ما تبقى من الحصاد فيموت الكثير من المخلوقات الصغيرة، الفئران والطيور، والحشرات، كانت كلها تعلق في النار.. وغالباً ما كانت تحترق الشجيرات ذاتها بالكامل..

كان مزاجها متشائماً جداً، وهي تستدير إلى حقل منخفض قرب الطريق.. وتوقفت، مقطبة، وهي تسمع صوتاً غريباً. ثم انطلقت تركض بعد أن أدركت ما هو.. كان هناك صبيّان منكبان على ركل جرو صغير، يعوي ويئن داخل الأشجار الشائكة. قفزت غابرييل عليهما قبل أن يتاح لهما فرصة الإحساس بوصولها، وبتصميم شديد، جعلتهما صفعاتها يستديران ويئنان ألماً.

سألها أحدهما ساخطاً:

ـ لماذا تفعلين هذا؟

نظرت إليه بشراسة:

ـ أيها المتوحش الشرير! أنت تؤذي حيواناً لا حول له! وتستحق أسوأ من هذا بكثير، يجب أن آخذكما إلى أبويكما، وأطلب أن يجلدكما لما فعلتما!

بدأ الأصغر سناً يبكي، لكن الصبي الآخر نظر إليها بعدوانية وقال:

ـ لن يهتما! قالا إنه لا يمكننا الاحتفاظ به لأنه سيسبب المشاكل! إنهما لا يريدانه!

نظرت إليه:

ـ هل تعني أنهما طلبا منكما أن تتخليا عنه؟

ـ أجل طلبا منا أن نتخلص منه.. ولا يهمهما كيف.. كان مصدر إزعاج.

ـ من أين أتى أصلاً؟

ـ أعطاني إياه رفيق لي في المدرسة.

أحست غابرييل بغضب حارق.. تركت الصبيين وانحنت تلتقط الجرو الصغير المرتجف، وضمته إليها.

ـ سأعتني أنا به.

سأل الصغير بصوت مصدوم:

ـ ماذا ستفعلين به؟ ستغرقينه؟

ـ لا.. سأستبقيه.. لا تستحقان أن يكون لكما جرو.. أنتما قاسيان غير لطيفين. وإذا رأيتكما تفعلان هذا مرة أخرى، سأقدم تقريراً إلى الشرطة، فهذا مخالف للقانون، وتعرفان هذا.

تبادل الصبيان النظرات.. ثم ركضا بسرعة. واستدارت غابرييل على الطريق وبدأت السير، تداعب رأس الجرو بلطف، لكنه استمر يرتجف وعيناه البنيتان تستديران في رأسه.

قالت تلاطفه:

ـ يا للمخلوق المسكين.. أنت بأمان الآن.. لن أؤذيك.

توقف روبي إلى جانبها بعد قليل، وضحك لها وهي تصعد السيارة.

ـ جئت أبحث عنك حبي! اشتقت إليك!

ثم نظر إلى الجرو:

ـ أين وجدت هذا؟

أخبرته، وبدا غاضباً.

ـ يا للإرهابيين الصغيرين! لماذا يفعل الأولاد أشياء كهذه؟

ـ إنهم صورة عن أهلهم..

ـ ماذا ستفعلين به؟

ـ سأستبقيه.

ضحك روبي مجدداً.

ـ أنت طيبة القلب.

أكمل الطريق لفترة، ثم نظر إليها وقال:

ـ على فكرة.. تلقيت التهنئة اليوم لخطوبتي.. أخشى أن يكون الخبر قد انتشر.

ـ أعرف.. حين كنت في القرية، أدركت أن الشائعة سرعان ما تنطلق.

ـ أعتقد أنهم يجدون لعبة الزواج وتغيير الشركاء بين وقت وآخر، أمر مذهل ساحر!

احمر وجه غابرييل:

ـ لا تقل هذا! إنه مريع!

ـ واجهي الواقع غابرييل! من المؤكد أن الناس يفكرون بهذه الطريقة، كايل أولاً.. ثم أنا! وحين ستفسخين خطوبتنا، سيجعلهم هذا ينقلبون على ظهورهم ضحكاً.

تأوهت:

ـ كنت أعرف أنها فكرة غبية.. الكذب له دائماً عواقب وخيمة، مهما كانت الدوافع.

قال:

ـ اسمعي.. تمسكي بالدوافع.. فهي أهم شيء.. لقد فعلنا هذا لأجل العمة آنيت، ونجحنا.. إنها دافئة مرتاحة كالأرنب في غرفتها.. تخطط لحفلة خطوبتنا، دون أن تشك في سبب عودتنا الحقيقية.

تنهدت غابرييل:

ـ أجل.. أعرف هذا.

نظر إليها عابساً:

ـ الأمر صعب عليك حبي، خاصة مع وجود كايل طوال الوقت.

تجهم وجهها، ولم ترد.. فأكمل:

ـ ماذا كان يفعل في المطبخ ليلة أمس؟ ألا زال يلاحقك؟ قلت لك إنه خطر، إنه مثل كلب «البولدوغ» لا يتخلى عن شيء وقع بين أسنانه.. هذا ما يجعله ناجحاً.. وهذا التصرف في العمل يكسبه مبالغ طائلة.

ردت بمرارة:

ـ وهذا التصرف ليس سيئاً في الحب كذلك.

ضاقت عينا روبي:

ـ كان يتحرش بك إذن؟ سأكسر عنقه! لماذا لا يتركك وشأنك؟ أود معرفة السبب الحقيقي لتركك له.. فلدي إحساس شرير مزعج أنك لا زلت معجبة به.. فإذا كان الأمر هكذا.. فلماذا؟

أغمضت عينيها متعبة:

ـ لا تسأل روبي.. أرجوك! أنا متعبة جداً.

هز كتفيه:

ـ كما تشائين!

بعد صمت قصير سأل:

ـ هل نظرت جيداً إلى كريس مؤخراً؟ تبدو مريضة.. حاولت طرح بعض الأسئلة، وحصلت على ذات الأجوبة. لا بد أن السبب هو شخصيتي.. فكلما حاولت مساعدة الناس يتجاهلونني.

ابتسمت له بمحبة:

ـ أحمق! كريس تحبك كثيراً.. لكنها تشعر، كما أشعر أنا.. أن بعض الأشياء من التعقيد بمكان حتى نعجز عن التكلم عنها.

سأل وهو ينظر إلى الطريق أمامه:

ـ وهل تحبينني أنت غابي؟

نظرت إليه باستغراب مفاجيء:

ـ أجل.. بالطبع.. أيها المجنون.. لطالما أحببتك.

تسلل لون أحمر خفيف إلى وجنتيه، وأدار رأسه ينظر إليها، وقال بصوت منخفض:

ـ أتمنى أن أعرف رأيك بهذا.. فأنا أجدك.. جذّابة جداً.

ذهلت عن الرد للحظات.. روبي! ونظرت خارج النافذة إلى منظر الشجيرات الشائكة الخضراء. كانت عصافير الدوري تطير من تحت إطارات السيارة، تهرب على بعد إنشات فقط من الموت.

سألها روبي:

ـ لا جواب؟

استدارت ببطء نحوه:

ـ لا أعرف ما أقول روبي.. أنا.. لا أعرف!

سألها مجدداً:

ـ هل يمكن أن تفكري بالأمر؟ لا أتوقع رداً مثيراً في الحال، دعي الفكرة تغوص إلى عقلك اللاواعي، فقد أروق لك!

امتزج الحزن بالخوف في ابتسامته فردت بحزن:

ـ أتمنى لو أصدق هذا روبي.. أتمنى فعلاً لو أنني أحبك.. أنت لطيف جداً، وسيكون من الرائع أن أحبك.

كشر كمن يتألم:

ـ لا تصفي الأمر هكذا حبي.. فهذا تفكير سلبي. حين تستيقظين كل صباح، قولي لنفسك: روبي محبوب.. وأنا أستطيع أن أحبه.. فقد ينجح هذا!

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ هل تحب؟

سأل كايل، وأصابعه الطويلة السمراء تداعب أذني الجرو:

ـ ماذا ستسمينه؟

ردت غابرييل:

ـ لم أفكر بالاسم بعد.

وأحست بوخزة حسد وهي تراقب اليدين القويتين تتحركان لتحملا الكلب الصغير على صدر كايل، حيث حاول الكلب لعق وجهه المبتسم بمحبة.

تمتم كايل وهو يرجع رأسه إلى الوراء:

ـ كف عن هذا أيها السخيف الصغير.

نظر إلى غابرييل نظرة مرحة مبتسمة:

ـ لن يوافق القط سيام على وصوله.

ردت الابتسام ناسية كراهيتها له:

ـ لا.. فسيام يكره الكلاب وله إحساس قوي بأهميته، وليس لدي شك أنه يعرف بوجود كلب في المنزل، إنه يعرف دائماً كل ما يجري، طبعاً إنه ذكي جداً.

تراقصت عينا كايل الزرقاوان عليها:

ـ أعتقد أن الجرو سرعان ما سيفرض نفسه.. انظري إليه.

ورفع المخلوق الصغير أمامها لترى اللمعان الدافىء الواثق في عينيه البنيتين، والأنف المتعجرف، واللسان الزهري.

ـ إنه جميل محبوب! من يطيق أن يؤذيه؟

ـ ما كانت ردة فعل أمك لوصوله! الرعب كما أتصور! لم تحب يوماً اقتناء الحيوانات.

ابتسمت:

ـ لم تكن مبتهجة! لقد اعتادت على سيام الآن. وبالطبع، هو مكتفٍ ذاتياً، ونظيف بشكل جميل، ولحسن الحظ، يبدو أن الجرو يميل إلى الحياة المنزعجة، غضبت قليلاً حين استمر بالعواء ليلة أمس، لكن هذا توقف حين أخذته إلى غرفتي.

قطب كايل:

ـ لا يجب أن تتركيه يعتاد على هذا.. فالكلاب بحاجة إلى الانضباط، ويجب أن ينام في الطابق الأسفل، ولن يستمر في العواء لو تجاهلته.

ضحكت:

ـ أنت لم تسمع الأصوات التي يفتعلها!

هز كايل رأسه ضاحكاً:

ـ ستفسدينه هكذا!

جلس في كرسيه يضم الكلب ويملس رأسه البني.. وقال متجهماً:

ـ لقد أمضت العمة آنيت ليلة سيئة جداً.

ـ أوه.. لا! هل زادت سوءاً؟

ـ كثيراً.. تبدو ضعيفة جداً، بحيث أن نفخة ريح يمكن أن تطيح بها.

تنهد:

ـ مع ذلك تبدو راضية جداً.. تتحدث عن طفولتها طوال الوقت.

ـ وهل جلست الليل معها؟

اكفهر وجه، وقال بحدة:

ـ أجل..

أصرت:

ـ طوال الليل؟

www.elromancia.com

تمتم شيئاً لم تفهمه.. لكنها فهمت أنه إيجاباً، فقالت:

- لا عجب إذن أن هناك ظلال تحت عينيك.. هل تنوي الذهاب إلى العمل اليوم؟

- كما ترين.. لقد أخذت فترة الصباح فرصة للراحة، سينوب روبي عني.. ووالدك هناك أيضاً في حال حدوث طارىء.. فيما بينهما، يمكن أن يتدبرا الأمور.

- كان يجب أن تبقى في الفراش طوال اليوم.

نظر إليها كايل بعينين متسعتين مباشرتين:

- خشيت هذا.

- في حال أن العمة..

وتلاشى صوتها عن آخر الكلمات.. وامتدت يد كايل تضغط على يديها ليقول بصوت أجش:

- أجل.

نظرا إلى بعضهما بصمت. كان إصبعه يتحرك صعوداً ونزولاً على مؤخرة يدها، وتسارعت نبضاتها تجاوباً.

- سوف نفتقدها.. أليس كذلك غابي؟ سيصبح هناك فراغ كبير في حياتنا.

قالت، وقد تبللت عيناها:

- أجل.. وأتمنى..

وتوقفت عن الكلام، كانت تود أن تقول إنها تتمنى لو لم تؤلمها بفسخ خطوبتها منه.. إنها تعرف أن العمة آنيت تكدرت كثيراً لهذا.. حتى أنها كان يجب أن تفعل أي شيء لجعل آخر أيام العمة آنيت أكثر سعادة.. لو أنها كانت تعلم..

انحنى كايل إلى الأمام، عيناه تتفحصان عينيها، وتعبيرهما دافىء ولطيف.

- تتمنين ماذا.. غابي؟

كان ينتظرها أن تعترف.. لكنهما سمعا صوتاً خلفهما، فالتفتا معاً..

كان الدكتور كلينت يقف بالأبواب الزجاجية للشرفة، والحقيبة السوداء في يده، يبتسم لهما.

قال مرحاً:

- آسف لإزعاجكما.. قرعت الجرس، لكن دون رد. لذا استدرت إلى خلف المنزل.. فكرت أنكم جميعاً في الحديقة.

وقفت غابرييل بسرعة:

- أوه.. لا بد أن الجرس معطل! من حسن الحظ أنك استدرت إلى الخلف!

- كنت أعرف أن شخصاً ما لا بد أن يكون هنا.. فلن يخرج الجميع ويتركوا الآنسة تايسون لوحدها.

قال كايل وهو يقف حاملاً الجرو:

- عمتي كاتلين تجلس معها.

مد الطبيب يده يلامس الكلب.

- إنه مخلوق صغير جميل! أنت شجاع بأخذك جروا في المنزل مع وجود مريض!

قالت غابرييل:

- إنه لي.

وأخذت الجرو من كايل، مستسلمة لتغطيته وجهها بلسانه.

قال الطبيب:

- لا يجب أن تتركيه يلعقك، فهذا أمر غير صحي أبداً!

نظر إليه كايل باحتقار، وقال ببرود:

- سآخذك إلى غرفة العمة.

ذهبت غابرييل إلى المطبخ لتعد لهما القهوة وانضم إليها كايل بعد قليل.. كان الكلب قد تكور فوق ممسحة الباب، ونام.. نظر كايل إليه، وسأل متسلياً:

www.elromancia.com

ـ أتساءل بماذا يحلم؟ أترين كيف يتحرك أنفه؟

سألته، دون مقدمات:

ـ لماذا تكره الدكتور كلينت.. كايل؟ يبدو لي لطيفاً بالرغم من سمعته، أعرف أن أمي لا تهتم به كثيراً، لكن هذا لأنه داس على قدمها.. إنه واحد من أولئك الأطباء الذين لا وقت لديهم للأمراض الخيالية، وأمي، بارك الله قلبها، طالما استخدمت صداعها لتنفذ ما تريد.

هز كايل رأسه:

ـ أجل.. أذكر ذلك الصداع منذ كنا صغاراً! لطالما كرهت أمك الحياة في الريف.. إنها مولودة للسكن في المدن.

ـ لكنها تحملت هذا.. لأجل والدي.. ولم تحاول أبداً إقناعه بالسكن في مكان آخر.

ـ هذا لأنها تأمل أن يتولى إدارة المؤسسة يوماً.

احمر وجه غابرييل:

ـ هل في هذا أي خطأ؟ بالطبع تريد له النجاح.

ضاقت عينا كايل:

ـ وماذا يريد هو؟ لطالما تساءلت عن هذا. إنه يكرهني.. ولطالما فعل!

تحت واجهته الهادئة لدى والدك طموحاته الخاصة.

هبت تدافع عن أبيها فوراً:

ـ أنت مخطىء.. أبي سعيد تماماً.

مع ذلك، لم تستطع أن تنسى ردة فعل أبيها حين قالت له إنها فسخت خطوبتها.. وبدا وكأنه راض عن التفكير بأن كايل سيفشل في شيء ما أخيراً، هل يحسد والدها كايل؟

كشّر كايل:

ـ هل هو سعيد حقاً؟ عجباً! أيمكن أن نعرف حقاً ما يدور في فكر الناس؟

استدارت تنظر إلى وجهه، بعينين متحديتين:

ـ أنا بكل تأكيد لا أعرف ماذا يدور في تفكيرك.

ـ وهل ترغبين حقاً أن تعرفي؟

أحست بذعر يكتم الأنفاس.. لطالما كان لكايل مثل هذا التأثير عليها، ويهدد شخصيتها، ويسيطر عليها.

تراجعت قليلاً وهي ترتجف:

ـ لا.. لا.. لا أظن أنني أريد أن أعرف؟

ابتسم:

ـ واثقة؟

استدارت ترتجف، لتكسر السحر الذي كاد أن يربطهما.. لكنه أمسك كتفيها وأدارها لتواجهه.

ـ أوه.. لا.. لا يمكنك التهرب بهذه السهولة، أنت التي أثرت هذا الموقف.. لقد تحدثت عن عدم معرفة ماذا يدور بخلد الناس.. فهل تفهمين ماذا يدور في رأسك؟ لقد بدأت أعتقد أنك عمياء حول نفسك بقدر ما أنت عمياء حولي.

ردت بغضب:

ـ لست عمياء! أعرفك أكثر مما تعتقد! لكن ما يحيرني، هو كيف لديك الجرأة لأن تحاول العبث معي وأنت..

صمتت بحدة.. لن تذكر كريس.. فلو عرف أنها اكتشفت أمره مع كريس، فلسوف يصل بسرعة إلى الاستنتاج بأنها تغار.. كما هي فعلاً!

سأل بنفاد صبر:

ـ وأنا.. ماذا؟ لقد سئمت، وأحس بالغثيان لتلميحاتك غامضة.. إذا كنت قد فعلت شيئاً.. فاخبريني، بحق السماء!

تظاهرت بعدم الاكتراث:

ـ أرجوك، دعني وشأني! لن يحب روبي أن يراك تتحرش بي!

تجهم وجهه، وعلته صبغة احمرار الغضب:

ـ روبي! اللعنة عليه!

www.elromancia.com

ثم ضمها إليه، يداه تؤلمان كتفيها، يشدها إليه بشوق جائع..

قاومته غابرييل بغضب في البداية.. تدفعه، وتضرب صدره، لكنه لم يتزحزح، كأنه الصخر. بالتدريج فرض جسدها نفسه على رفض دماغها له.

أحست بنفسها تتخدر، وعبثت يداها ببطء على صدره، ثم تحركتا دون إرادة منها إلى عنقه.. أنزل يديه يشدها أكثر.. فذابت استجابة لعناقه بحرارة تماثل حرارته.

تمتم يدفن وجهه في شعرها:

ـ غابي.. غابي الجميلة المرغوبة.. كنت أعرف أنك لست غير مهتمة كما تدعين..

وفرت لها الكبرياء القوة لتجذب نفسها منه.. مقطوعة الأنفاس محمرة، نظرت إليه.

ـ لا تغتر بنفسك! لمجرد أنني تركتك تعانقني! ماذا يعني هذا؟ أنت كريه كايل.. أنت تريد الحصول على قالب الحلوى وأن تأكله كله.. حسن جداً، .. أنا لست مستعدة للعب لعبتك المزدوجة، فأنا مؤمنة أنك إذا لم تحب فتاة فلا يجب أن تعبث معها.

قال بصوت خشن يماثل صوتها:

ـ أنت كنت تعبثين معي.

ردت:

ـ لقد أسأت فهمي.. أتعرف كايل.. أنت من النوع الذي لا يرغب في الشيء إلا إذا ابتعد عن مناله.. أنت تريدني الآن لأنني أصبحت لروبي، لكن حين كنت مخطوبة لك، لم أكن أراك إلا بصعوبة. وتركتني أرحل دون كلمة احتجاج.. لأنك لم تكن تريدني، ثم أحسست بالحزن والحرمان لأنك خسرت شيئاً كان يمكن أن يسليك.

ـ عم تتكلمين؟ أعترف أننا لم نكن نرى بعضنا كثيراً حين كنا

مخطوبين.. لكن هذا كان لأنني كنت مشغولاً في المصنع.. ومن ناحية أخرى..

انتظرت ترفع حاجباً ساخراً:

ـ من ناحية أخرى.. ماذا كايل؟

نظر إليها مباشرة، وفمه مشدود:

ـ جزئياً.. لأنني كنت أتجنب رؤيتك دائماً.

آلمها هذا، ولو أنها تعرفه.

ـ إذن كنت محقة؟

ـ بكل تأكيد لا! تجنبت رؤيتك لأنني وأنا معك لم أكن أستطيع إبعاد يدي عنك.. وأبوك أجبرنا على الانتظار سنة قبل أن نتزوج.. كنت أعرف أنني لن أتحمل الانتظار طويلاً.. لكنني أعطيته وعدي، لذا كان يجب أن أكون بارداً.

قالت بضعف:

ـ أوه!

ألهذا السبب أحب كريس؟ لأنه كان يشعر بالإحباط والوحدة؟

استند على المغسلة، يراقبها، ويقول:

ـ كنت أعرف أنني غالباً ما كنت سيء الطباع، وبكل تأكيد هذه الأيام.. وتعرفين الآن السبب! كنت أشعر وكأنني في جحيم. قد يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لامرأة.. فالرجل ليس مخلوقاً لينتظر أشهراً وهو يحب بجنون.

نظرت غابرييل إلى الأرض وكأن ما قاله أذهلها:

ـ هل كنت كايل؟

ـ كنت ماذا؟

ـ تحب.

ساد صمت طويل.. ثم رفعت نظرها بسرعة لتجد عينيه الزرقاوين مثبتتين على السقف، ووجهه قناع بارد.

www.liromancia.com

بعد لحظة قال:

ـ هذا أكثر سؤال قاطع يمكن أن تسأليني إياه. أشعر وكأنني لم أعرفك أبداً غابي، كيف يمكن أن تفعلي هذا؟ هل يعطيك هذا نوعاً من السعادة الملتوية لتصفعيني بمثل هذا السؤال؟ أنت تجعليني آسفاً لأنني قابلتك!

أحست بالحيرة والارتباك.. هل كانت، بعد كل هذا، مخطئة؟ نظرت إليه متسائلة بحيرة... لكن قبل أن تسأل السؤال الذي تود معرفة رده، انفتح باب المطبخ ودخل الدكتور كلينت مبتسماً.

ـ مرحباً! جئت فقط لأقول إنني خارج.

استقام كايل في وقفته وهز رأسه له ببرود:

ـ كيف حال العمة آنيت؟

هز الشاب كتفيه ووجهه مكتئب:

ـ أنت تعرف الوضع.. لا تغيير.. وقد يحدث هذا في أي وقت الآن.

ـ هكذا إذن.

تردد الطبيب:

ـ سأحاول زيارتها مجدداً هذا المساء.

هز كايل رأسه:

ـ سأرافقك حتى الباب.

وتجاوزه إلى الردهة.

ابتسم الطبيب إلى غابرييل:

ـ عمتك كانت تسأل عنك.. هلا صعدت إليها؟ تبدو مهتاجة جداً حول الحفلة.. ودعتني للحضور، فهل لا بأس في هذا؟

احمر وجه غابرييل:

ـ أجل بالطبع.

وتمنت في سرها أن لا تدعو العمة آنيت أحداً آخر.. لقد خططوا لحفلة ذلك المساء، لأن إقامة الحفلة استحوذت على تفكير المرأة العجوز. وكأنها أحست أن للحفلة مغزى شخصي لها.. والجميع يحافظ على هذا الادعاء،

بالرغم من التوتر الذي تفرضه الحفلة عليهم.

نظر إليها الطبيب آملاً:

ـ أتعنين هذا؟ ألن أكون متطفلاً؟

ـ بالطبع لا.

حملت معها القهوة وهي تصعد لرؤية العمة آنيت تاركة بعضها لكايل على طاولة المطبخ.. وقابلته في الردهة لتطلب منه باختصار أن يشرب قهوته وهي لا تزال ساخنة.. وهز رأسه دون أن يرد.

كانت العمة كاتلين تجلس قرب السرير تحيك كنزة لكريس.. بينما كانت العمة آنيت تغفو بلطف ورأسها إلى الوراء على الوسائد. ابتسمت غابرييل للعمة كاتلين، ووضعت صينية القهوة على الطاولة إلى الجانب الآخر من السرير.

فتحت العمة آنيت عينيها، وهزت نفسها:

ـ ها أنت عزيزتي غابي.. هل رأيت طبيبي اللطيف؟ أليس لطيفاً؟ إنه شاب مهتم ورائع.. لقد جاء لي بآخر قصة بوليسية.

لفت العمة كاتلين حياكتها.

ـ إذا كنت ستجلسين معها، فسأنزل لأبدأ تحضير العشاء.

ـ ألن تشربي القهوة أولاً؟ جئتك بفنجان.

ـ لا.. شكراً لك عزيزتي، أفضل فنجان شاي.

وابتسمت لغابرييل بأدب، وغادرت الغرفة.

سألت العمة آنيت بلهفة طفولية:

ـ حسناً.. هل تتطلعين شوقاً للحفلة؟

ابتسمت غابرييل متأثرة بابتهاج العجوز الذي لم يتغير بالحياة. إنها لا تستسلم للمرض الذي يأكل كل طاقتها وقوتها، وتحاول استبقاء الادعاء بحياة طبيعية.. وجعل هذا غابرييل تخجل من نفسها. حقاً إنها شريرة النفس لتحرم العمة آنيت بضع أيام من التضحية من حياتها.. ربما كان من الغباء ابتداع هذه الخطوبة.. كانوا سيتمكنون من التفكير بقصة أقل صعوبة

www.liromancia.com

لعودتهما المفاجئة من إيطاليا.. لكن على أي حال، ماذا يهم كل هذا مقارنة بسعادة العمة آنيت؟

جلستا تتحدثان عن الحفلة لبعض الوقت.. تسألها العمة حول الطعام الذي سيقدم، حول المدعوين، متنهدة تحسراً على عدم قدرتها على الحركة لتكون موجودة في هذه المناسبة.

ـ لكنني سأكون موجودة في حفل زفافك عزيزتي.. أوه.. أجل، سأكون موجودة في زفافك! لن يفوتني هذا أبداً.

وأطبقت العينان الزرقاوان الباهتتان ببطء. واستولى عليها النوم.

أطبقت يد غابرييل على الأصابع النحيلة:

ـ أجل.. ستكونين هناك.

ابتسمت العمة نصف نائمة:

ـ عزيزتي غابي.. أنا لم أتزوج.. وتعرفين هذا.. ولطالما تطلعت شوقاً لأرى الشبان يتزوجون.. مناسبات الزفاف مناسبات مبهجة جداً.. كنت دائماً أبكي.. ولا حيلة لي في هذا.

ـ أجل.. عمتي آنيت.

ـ كايل سيكون زوجاً رائعاً.

تصلبت يد غابرييل، وتراجعت لتجلس إلى الوراء، تنظر إلى الوجه الصغير المجعد.. انفتحت شفتا العمة آنيت، وخرج صوت منخفض بطيء.. تنفس النوم الناعم.

حرقت الدموع مقلتي غابرييل، لماذا سار كل شيء خاطئاً؟ لماذا أحب كايل كريس؟ لو كان صادقاً، لكان يحبها هي الآن.. خوفها من أنه يرغب الزواج منها لأسباب العمل لم يكن عادلاً، ومثيراً للإشفاق. لقد كان صادقاً تماماً حين قال إن الخطوبة الطويلة هي سبب التغيير.. وهي لا تشك بهذا الآن. لكنها تستطيع أن تتصور أن الإحباط الطويل في تلك الخطوبة، عمل كما اقترح كايل تماماً.. جعله متوتراً نافد الصبر، وقلقاً.

بالطبع، كانت كريس تتواجد كل يوم في المصنع، وفي منزله كل

مساء.. حلوة، لطيفة، ومهدئة، ودائماً في متناول اليد لتلطف جبينه المليء بالمشاكل.

سارت في غرفة النوم بحزن كي لا توقظ العمة آنيت، ونظرت إلى نفسها في المرآة. شعرها الأحمر، بشرتها التي لوحتها الشمس، جسمها النحيل، كان يظهر مكتملاً في الفستان الأبيض البسيط الذي ترتديه.

فكرت بحزن: أستطيع أن أكسب كايل مجدداً.. واشتد ضغطها على فمها.. لن يحاول التحرش بي هكذا لو لم يكن يجدني جذابة.

قفز قلبها وبدأت نبضاتها تتسارع، ورأت عينيها تشعان أملاً.. حدقت في انعكاس صورتها في المرآة، لترى النبض عند أسفل العنق يضرب بجنون.

ألن يكون هذا سهلاً؟ لقد كان كايل مختلفاً منذ عادت من إيطاليا.. وكما قالت له في غضبها، من الواضح جداً أنه يجدها مغرية الآن وهي بعيدة عن مناله.

ارتفع ذقنها عدوانية. أستطيع أن آخذه من كريس بكل سهولة.. فعلى أي حال، هي البادئة بسرقته مني.. ومن حقي القتال لاستعادته.

ثم تلاشى اللمعان من عينيها. فاستدارت ليهبط كتفاها إلى الأمام.. لا، لا أستطيع فعل هذا.. كريس تحبه كثيراً.

تذكرت العذاب في وجه كريس الشاحب الأبيض.. والاعتراف المتلعثم الذي أفضت به إليها.. ماذا قالت؟ أوليس لديه أية استقامة؟ يجب أن يُجبر كايل بأن يلتزم بصفقته الآن. لقد جعل كريس تقع في حبه.. ويجب أن يتزوجها.

عادت إلى السرير لتجلس بهدوء، تلتقط كتاب العمة آنيت.

حين استيقظت العجوز، عرضت غابرييل أن تقرأ لها، وأمضتا ساعة سعادة معاً، تستكشفان معاً خيوط قصة بوليسية تثير الأعصاب.

ثم جاء كايل، وصاحت العمة آنيت مبتهجة لرؤية الجرو معه:

ـ أوه.. يا للحبيب الصغير! من أين أتى؟ هل هو لك كايل؟

ابتسم كايل لها:

ـ لا.. إنه لغابرييل.

وضع الجرو على السرير، فاندس تحت يدي العمة المطويتين، يلعق أصابعها.

قالت غابرييل، تنحني لتأخذه:

ـ سوف يفسد السرير.

قال كايل بحدة:

ـ أوه.. وماذا يهم؟

وأرجعها إلى الوراء.

كانت العمة آنيت مشغولة بالجرو ولم تشاهد النظرة التي تبادلاها، نظرة عداء وكراهية.

مبتسمة بسعادة، شدت العمة أحد أذني الجرو:

ـ ما اسمه؟

قالت غابرييل:

ـ لم أعطه اسماً بعد، ربما تفكرين باسم له!

قالت العمة حالمة:

ـ كان لي كلب وأنا صغيرة، كان اسمه داندي.. قتل في حادثة.

راقباها تبتسم، كان لها تلك النظرة المتباعدة مرة أخرى.. وكأنها ترى أوقاتاً أخرى، وأشخاصاً آخرين. من وقت لآخر، كانت تنزلق إلى الماضي، تعود لتعيش ذكريات قديمة منسية.. الفجوة الكبيرة بين الطفولة والشيخوخة تبدو وكأنها موصولة بالنسبة لها.. كانت تتكلم عن نفسها وكأن الحياة تبدأ لها لتوها.. وربما هذا ما يحدث لها!

نظرت العمة آنيت إليهما:

ـ اسم داندي لطيف جداً لكلب صغير، أليس كذلك؟

هزت غابرييل رأسها:

ـ يعجبني! هل نسميه داندي إذن عمتي؟

استدارت العينان الباهتتان إلى الجرو، وأمسكت وجهه بين يديها.

ـ داندي.. مرحباً داندي!

أخذ يلهث مدلياً لسانه إلى الخارج، وأطلق عواء خفيفاً.. ضحكت العمة آنيت:

ـ لقد عرف أن هذا هو اسمه!

استلقت إلى الخلف تنظر إليهما، وقد شحب وجهها فجأة.

ـ أعتقد أنني سأنام قليلاً مرة أخرى.

جاءت العمة كائلين بهدوء، وجلست إلى جانب السرير.. التقط كايل الجرو، وخرج مع غابرييل بهدوء من الغرفة.

وضع الغداء على طاولة غرفة الطعام.. قصعة كبيرة من السلطة المتنوعة، طبق من اللحم البارد المقطع، جبن، بيض مسلوق مع المايونيز، خبز وزبدة، عصير فاكهة، وسلطة فاكهة طازجة.

تناول فيلبس وكايل الطعام بصمت، عيونهما مركزة على طبقيهما.. كانت غابرييل تنظر إليهما بين الحين والحين، تفكر كم هما متشابهان.. وسيبدو كايل مثل جده تماماً حين يصبح عجوزاً.

رفع فيلبس نظره، والتقط نظراتها وابتسم لها.

ـ متشوقة للحفلة الليلة؟ سيكون هناك رقص، كما سمعت! لإرضاء آنيت!

قالت غابرييل:

ـ هذا ما يجعلها سعيدة.

هز رأسه:

ـ أوه.. أعرف! إنها عجوز عاطفية غبية.

لكن لهجته كان ينقصها الاقتناع، وأحست غابرييل أنه تحت تصرفه المتصلب، مولع جداً بشقيقته ومحزون لمرضها.

قالت بلهجة الأمر الواقع، قدر ما تستطيع:

ـ تريدني وروبي أن نصعد لنراها.

رفع كايل رأسه، وقد ضاقت عيناه:

- ولماذا؟ مباركة عائلية؟

قالت ببرود:

- من المفترض أننا مخطوبان.

رد ساخراً:

- من المفترض.. أجل!

ضحك فيلبس، وأخذ ينقل نظره من أحدهما إلى الآخر، ثم قال:

- لن تعرفي أبداً.. فقد تعجبك أنت وروبي فكرة الخطوبة.. وقد تقرران المضي فيها!

نظر إلى حفيده نظرة مشرقة ممازحة:

- على أي حال، غابي فتاة جميلة جداً! ولن يحصل روبي على أفضل منها!

ردت غابرييل بحدة:

- شكراً لك فيلبس..

نظر كايل في عينيها:

- هل هذا ممكن؟

هزت كتفيها، تتحدى تحدّيه:

- لا يمكن لأحد أن يعرف.. كما قال فيلبس!

ضحك كايل ساخراً:

- كان يجب أن أحذر روبي! فلدي إحساس أنه لا يرغب في ربط نفسه بعد.

ابتسمت له بحلاوة:

- أوه.. أنت مخطىء! روبي يحب خطوبتي!

وضع كايل ملعقته، ودفع طبق سلطة الفاكهة عنه دون أن ينهيه.. وقال لفيلبس:

- يجب أن أذهب إلى المصنع.. لدي عمل كثير أنهيه.

راقبه فيلبس يبتعد وهو يضحك.. ثم نظر إلى غابرييل، يغمزها:

- لقد تمتعت بهذا!

هزت رأسها له موبخة:

- لا أعرف ماذا تعني!

قال بمرح:

- لقد حشرته في زاوية.. لطالما تساءلت ما إذا كان هذا الصبي قادر على إيصال نفسه إلى ورطة عاطفية.

تجهم وجهه قليلاً، وأكمل ببطء:

- من لا يشعر بعمق، ليس حياً بالكامل عزيزتي.. عن طريق الخطأ والتعلم من الخطأ، يمكن أن نتغير وننضج.. ولقد كان كايل جيداً جداً في كل شيء، لم يرتكب أي خطأ في العمل.. مفكر رصين، ذكي، وواثق من نفسه.. وهذا ما كان يقلقني أحياناً. ولهذا سرني أن أراه يقع في حبك.. فلو اختار ممسحة قدمين، أو حتى الأسوأ من هذا، فتاة باردة، لكرهت هذا.

- وما الذي يجعلك واثقاً من أنه يحبني؟

نظر إليها ساخطاً:

- أنا أكبر سناً من أن أنخدع.. في البداية لم أكن واثقاً أنك ستتمكنين من السيطرة عليه. فقد بدوت مجنونة بحبه، وبشكل ظاهر.. فقد أطاح بك عن قدميك في بضعة أيام.

احمرت غضباً:

- وهل كان هذا واضحاً إلى هذا الحد؟

ابتسمت العينان الباردتان لها:

- هذا ما أخشاه عزيزتي.. كان هذا واضحاً للجميع.. ولقد تحدثت مع أبيك في الأمر.

- أبي؟ عمَّ تحدثتما؟

- عن علاقتك بكايل.. اتفقنا على أنك لو تزوجته فوراً، فسيأكلك وأنت حية. كايل قاس جداً.. ومسيطر، أكثر من أن يسمح لامرأة أن

www.elromancia.com

تحكمه.. وأنت عزيزتي كنت تحبينه إلى درجة أنك كنت على استعداد للاستسلام له في كل شيء.. لذا قررنا أن انتظار سنة أمر جيد لكليكما.

جمدت غابرييل.. وتجهم وجهها غضباً:

- إذن.. كانت هذه فكرتك!

هز رأسه:

- ووافق والدك معي! فرد يغار قليلاً من كايل.. وكان هكذا دائماً لكنه كان على حق هذه المرة.. كايل يحتاج إلى أن يتلقى درساً.. وأنت الشخص الوحيد الذي يمكن أن يعلمه.

- وماذا كان من المفترض أن أعلمه؟

- أنه ليس المتفوق.. وأنه لا يمكن له أن يمد يده إلى شجرة ليلتقط أفضل الناس، حسب إرادته.

- إذن.. كنت أنا الأداة التي اخترتموها.. أنت وأبي.. لتحجيم كايل!

نظر إليها بذهول:

- تبدين منزعجة جداً عزيزتي!

- منزعجة؟ لا.. بل أنا غاضبة لعينة!

- مهلك، مهلك! لا يعجبني أن أسمع فتاة شابة تلعن هكذا!

ردت بغضب:

- إذن، ما عليك سوى أن تسد أذنيك.. لأنني بصراحة أشعر أنني أود استخدام الكثير من هذه النعوت! ألم يخطر ببال أحدكما أنكما تتلاعبان مع القدر؟ وأن تلاعبكما قد يصيبني أنا، لا كايل.. وأني أنا من سأتألم في هذا السباق؟

نظر إليها بعجب:

- طفلتي العزيزة.. ماذا تعنين؟

فتحت فمها والكلمات تحتك بلسانها.. ثم صمتت!

قالت:

- أوه.. لا.. لن أكشف لك عن أفكاري مرة أخرى، فيليس! أنت

تناور جميع من يضع نفسه في قبضتك. من الآن وصاعداً، سأبتعد عنك.. وإذا أردت نصيحتي، لا تدع كايل يعرف أن فكرة جعلنا ننتظر هي فكرتك! فقد يكون أقل تسامحاً مني.. وقد لا يحميك سنك منه!

قفزت واقفة، وسارت تخرج من الغرفة. وتركته ينظر خلفها وحاجباه مقطبان.

***

www.elromancia.com

٨ ـ عندما يتدخل الآباء

عادت سيراً إلى منزلها لترتدي ثياب الحفلة. وجدت جوش مستلقياً على المرجة في استرخاء تام.

لكزته بلطف بقدمها:

ـ أيها الكسول!

فتح عينيه نصف فتحة مبتسماً:

ـ ليست كذلك! لقد شذبت العشب لتوي، فأحسست بالإرهاق!

نظرت حولها إلى العشب الناعم.

ـ مذهل! استمر في أخذ الأقراص المنشطة..!

جلست على العشب إلى جانبه:

ـ هل ستأتي إلى الحفلة؟

نظر إليها جوش وعلى وجهه تعبير غريب...

ـ وما نفع الحفلة إن كانت الخطوبة زائفة؟

تنهدت:

ـ أتعرف؟ فهمت.. إنه فيلبس!

ـ وهل كنت تظنّين أنه سيحتفظ بالسرّ لنفسه؟

انقلب على بطنه وأسند ذقنه بيديه.

ـ لقد أصيب بصدمة حين عدت وأنت مخطوبة لروبي.. فقد هيج هذا وكر الدبابير في العائلة.. حين اكتشف فيلبس أن الخطوبة مجرد تمثيلية لأجل العمة آنيت، أسرع يزف الخبر السعيد لأبوينا.

كشرت غابرييل:

ـ أستطيع تصور هذا! كان يجب أن أصون لساني.. لكنني فقدت أعصابي.

نظر إليها شذراً:

ـ مع كايل.. بالطبع؟

ـ ولماذا بالطبع؟

ـ لا زلت متعلقة به بالرغم من فسخ الخطوبة.

راحت تلاعب العشب بأصابعها، ثم قالت ببطء:

ـ هذه إحدى الطرق لوصف المسألة.

ـ لماذا فسخت الخطوبة إذن؟

نظرت إلى السماء، وراقبت غمامة كانت تمر ببطء، بعينين لا تريان شيئاً.

ـ اكتشفت أن له علاقة بكريس.

جلس جوش فجأة، يحدق بها:

ـ ماذا قلت؟

أجفلت لعنف لهجته، ونظرت إليه بدهشة. وكررت كلماتها، فرأت وجهه يتحول إلى قناع قاس شاحب:

ـ يا إلهي! لا أستطيع تصديق هذا! الصغيرة كريس؟ لا بد أنها جنت.. كايل لا ينفعها أبداً.. إسمعي، هل أنت واثقة مما تقولينه؟

ـ رأيتهما معاً. وسمعت ما يكفي لأتأكّد.. كانا يتحدثان عني.. يقولان إنهما يكرهان أن يؤلماني، ويأملان ألا أعرف الحقيقة أبداً.. أحسست بالغثيان.. كما يمكن أن تتصور. ابتعدت وفكرت بالأمر، ثم قررت فسخ الخطوبة دون أن أدع أياً منهما يحس أنني أعرف بأمرهما.

سأل ببطء:

ـ إذن هما لا يعرفان أنك عرفت؟

ـ لا.. خشيت أن يشعرا بالبؤس إذا عرفا.. وتصورت أنهما

www.elromancia.com

سيتزوجان بسرعة.

- لكنهما لم يتزوجا.. وأنا أراهما كل يوم في المصنع. ولو كانا يحبان بعضهما، فهما يخفيان هذا بشكل جيد جداً.. فأنا لم ألاحظ أي دليل على ذلك.

تنهدت غابي:

- كايل ممثل بارع.

- هذا صحيح.. إنه متفوق في هذا. لكن لماذا لم يعلنا عن هذا الآن، وهما حرّان تماماً؟ لماذا يستمرّان في إخفاء القصة؟

- لقد شككت أن يكون كايل يرغب في الزواج مني لأجل أسهم العائلة.. أمي ألمحت إلى هذا.. قالت إنه يرغب في السيطرة على حصص من أسهم تايسون ليحصل على الأكثرية بين المساهمين.. وبدا لي الأمر محتملاً.

- لكن.. الآن؟

- لم أعد واثقة.. ربما فكّر بهذا.. لكنّه أحبني في وقت ما.. لكن الخطوبة الطويلة هي التي أفسدت كل شيء.. لقد مل الانتظار.. وكانت كريس موجودة.. والبقية معروفة.

- هكذا نعود إلى السؤال الأول: لماذا لم يعلن خطوبته على كريس؟

- أجل.. ولا أعرف الرد.. إلا إذا لم يكن كايل واثقاً من مشاعره.. لكن كريس متأكدة من مشاعرها.. جوش، كريس واقعة في حب يائس وقد اعترفت لي بهذا، ولو أنها لم تسمِّ الرجل. أستطيع أن أكره بكل سهولة لكنني لا أكره كريس. لقد عانت بما فيه الكفاية.

- مسكينة كريس.

وقفت غابرييل تملس تنورتها، وتنزع العشب عنها.. تقول بخفة:

- مؤسف أنها لم تقع في حب الدكتور كلينت.

وقف جوش لينضم إليها ويسأل:

- ولماذا كلينت، بحق السماء؟

- أوه مجرد فكرة! لقد سألني عنها، يبدو لي أنه معجب بها.

- إنه غير مناسب لها، تماماً مثل كايل.. كلاهما سيعاملها بخشونة.. وكريس أكثر رقة من كل الفتيات.. تحتاج إلى معاملة لطيفة.

نظرت غابرييل إليه بفضول.. كان لصوته خشونة لم تعرف سببها، وكأنه غاضب.. من النادر أن يغضب جوش المتساهل، الكسول لشيء ما. فهو يأخذ الحياة كما تأتي، يتقبل ما يحدث باستسلام للقضاء والقدر.

دخلا المنزل ليجدا والديهما يتحدثان في المطبخ، وصمتا فجأة.. قالت متحدية:

- كنت أتحدث مع فيلبس اليوم أبي.

ابتسم:

- أجل.. قال لي هذا عبر الهاتف قبل قليل وأعتقد أنك غضبت قليلاً.

- قليلاً؟ لقد استشطت غيظاً!

استند جوش على الجدار، يراقب مبتسماً. وواجهت غابرييل أباها، وذقنها مرفوع دلالة التحدي والمشاكسة، وعيناها الخضراوان تطلقان الشرر.

لكن تصرفه المتمدن المسترخي لم يتغير وهو يراقبها بدوره، وابتسامة صغيرة ترتسم على شفتيه.

أخيراً قال بهدوء:

- أنت غير منطقية عزيزتي.. لقد فعلنا ما ظننا أنه الأفضل لكما.. هي الأكبر، كما أعترف، كان لمصلحتك.

- مصلحتي! كنت تحاول ضرب كايل واستخدمتني كعصا!

- لقد اعتقدت، ووافق فيلبس معي، أن كايل لم يكن مستعداً بعد للزواج منك.. من المفترض أن يكون الزواج شراكة. اتفاق بين شخصين.. ومعكما كان يعني الكثير.. كلاكما ذكي جداً.. عنيد جداً، متهور أمام العواقب، ومصمم على تنفيذ ما يريد.. وكان على أحدكما أن يتنازل للآخر، أو يتألم. فيلبس وأنا، فكرنا معاً أن من سيتنازل سيكون

أنت غابي.. كنت الأضعف في تلك الأثناء.

- أوه.. حقاً؟

- أجل.. كنت تحبينه كثيراً.. وأعتقد أنه أحبك. لكنه أكبر منك، وأكثر ثقة بنفسه.. كان من الممكن أن يستغل حبك كسلاح ضدك.. ولو كنت أقل عناداً، لما كان هذا يشكل كارثة.. ولكنت أصبحت بالتدريج مرآة لكايل.

احترق وجهها بالغضب:

- ما كنت لأصبح عبدة لأحد.. أبي! أنت لا تعرفني أبداً لو ظننت هذا!

قال بهدوء:

- أعرفك.. ولهذا عرفت أن سنة التأخير ستعطيك فرصة لتتعلمي كيف تتعاملين مع كايل، فتعرفين ما الذي سيواجهك.. كنت أعرف أن إرادتك ستصبح أكثر تصميماً للوقوف بوجهه والفوز... ولو أحياناً.

ضحك، ينظر إلى وجهها متسلياً:

- كما كانت تلك المهلة ستجعل كايل مطواعاً أكثر.. وترفع شأنك بنظره، لأنه أجبر على أن ينتظرك.

ضحكت، لكن بسخرية مريرة:

- لكن الأمر لم ينجح بهذه الطريقة.. أليس كذلك؟ أنت وفيلبس لعبتما دور القدر، وحطمتما حياتينا.

هز رأسه:

- لا.. كنا على حق.. أعترف أنك حين فسخت الخطوبة، أصبت بصدمة. لكنني رأيت أنك لا زلت مهتمة بأمره.. وكنت على استعداد لأن أنتظر.. آمنت أنكما ستعودان لبعضكما، فتتوازن الأمور من جديد... وسيتعلم كايل المزيد من الصبر، ليكون مستعداً للتنازل معك.

نظرت غابرييل إليه باكتئاب:

- كان يجب أن تترك الأمور لنا أبي.. ما كان يجب أن تتدخل.

ثم خرجت من الغرفة.. مخلفة وراءها صمتاً غير مريح.

نظرت السيدة سمرفيلد إلى زوجها:

- إذن.. هذا ما حصل! كيف استطعت أن تفعل هذا فرد؟ لقد حطمت حياتيهما!

- هراء..! لقد أعطيتهما الفرصة ليكونا سعيدين معاً.. لو تزوجته فوراً، لانتهى بهما الأمر إلى الطلاق.. كان كايل متسلطاً جداً.

قالت الزوجة بمرارة:

- إنها على صواب.. لقد استخدمتها كسلاح لمحاربة كايل! لطالما كنت تكرهه.. إنه كل شيء لم تستطع أنت أن تكونه.. ناجح، ذكي، طموح.. وسيصبح مليونيراً في يوم ما.. يتمتع بلمسة سحرية ولطالما ادعيت أنك قانع كما أنت فرد.. لكنني بدأت أعجب!

- عزيزتي.. أنا قانع.. أؤكد لك. أنت من لست قانعة.. وأنا آسف إذا كنت لم أحقق أحلامك، فأنا لم أرغب يوماً بأن أكون ملكاً من ملوك المال. كل ما أردته هو حياة عائلية سعيدة.

فتح يديه بعجز:

- كنت أعرف تماماً أن لديك طموحات كبيرة.. لكن الإنسان يدفع عادة ثمن هذا النجاح عزيزتي، لهذا لم أرغب أن تدفع غابرييل ثمن طموح كايل.

نظرت إليه باولا سمرفيلد بصمت.. ثم عضت شفتها:

- لقد كنت سعيدة فرد.. ولا يمكن أن أحبك أكثر مهما كنت ناجحاً!.. بالطبع أردتك أن تتسلق إلى القمة، وأية امرأة لا تريد هذا لرجلها؟ لكنني لم أتوقف عن حبك لأنك لم تكن طموحاً كما أريد! أوه.. تعرف جيداً أنني أحببتك دائماً بالرغم من كل شيء!

تسلل جوش إلى الخارج، وسمع والده يقول بلطف:

- عزيزتي باولا! بالطبع أعرف هذا!

ركضت باولا إليه تدفن وجهها في صدره، فرفع وجهها مبتسماً لها:

ـ وهل صدّقتني حين قلت إن ما فعلته لتأخير زواج غابرييل، كان هدفه تأمين الأفضل لها؟

تنهدت:

ـ أجل. أعتقد هذا! لكنني أخشى أن يكون مسعاك قد فشل.

عانقها زوجها:

ـ لنرى.. سنرى عزيزتي!

ذهبت أسرة سمرفيلد إلى منزل أسرة تايسون في أبهى حلة. وبدا جوش أنيقاً على غير عادة. في بذلة سوداء، حديثة التفصيل.. وارتدت غابرييل الفستان الكحلي الذي ارتدته لحفلة نادي الكريكت.. ومشطت شعرها إلى أن لمع وكأنه الذهب الأحمر المصقول، ثم رفعته على مؤخرة رأسها في «شينيون» بسيط.

فتح كايل الباب لهم، يبتسم بأدب.. لكن وجهه تصلب مع مرور غابرييل من أمامه.

قال بخشونة:

ـ تبدين جميلة جداً الليلة.

وقفز قلبها سعادة.

ثم جاء روبي ليحييهم، وعيناه تتراقصان.

ـ مرحباً حبي! كيف حال الجرو؟ أخبرتني العمة آنيت أنك ستسميه داندي.. يبدو الاسم مناسباً.

تأوهت السيدة سمرفيلد:

ـ لا تذكر ذلك الحيوان!.. أكل فردة خف لي هذا المساء! هذا عدا ذكر ثلاث حبات بطاطس، وجزءاً من ممسحة باب المطبخ.

ضحك الجميع.. وقال روبي:

ـ الجراء تحب الطعام المتنوع.

قالت السيدة سمرفيلد متجهمة:

ـ هذا ليس بجرو.. إنه مكنسة كهربائية.. يبتلع أي شيء غير مسمّر في

الأرض.

قالت غابرييل:

ـ سرعان ما تحبينه.. وتعرفين هذا!

ـ لا أريد أن أحبه، فأنا أجد الكلاب مزعجة، تطلب الكثير من الحب والعناية.

قال زوجها بهدوء:

ـ أولا نطلب هذا جميعاً؟

نظرت إليه وتنهدت.

وضع روبي أسطوانة لمعزوفة غيتار اسبانية، وبدأ يصب العصير للجميع.. دخل فيلبس الغرفة يستند إلى عكازه، أنيقاً في بذلة سوداء كلاسيكية.

رأته غابرييل ينظر إليها باسترخاء نظرة تحدٍ، ورق قلبها له.. تقدمت منه تقبل خده المجعد النحيل، وهمست:

ـ لا بد أنك كنت في شبابك جذّاباً بشكل خطير! أنت أجمل رجل هنا الليلة!

لف ذراعه حولها، ونظر إلى عينيها المبتسمتين.

ـ سامحتني.. أليس كذلك؟

ـ أعتقد هذا.

تقدم روبي نحوهما متظاهراً بالعبوس.

ـ هاي فيلبس! المفترض أن أكون أنا من يهمس الكلام الجميل في أذنها.. وليس أنت!

ضحك كايل بخشونة:

ـ هذا ما يفترض!

حل الصمت.. ثم بدأ الجميع بالكلام معاً. واحمر وجه روبي.. نظر فيلبس إليه ساخراً:

ـ لا تعليق روبي؟

قست عينا روبي اللطيفتان.. ولم يرد.. لكنه دس ذراعه حول غابرييل.. ثم قال:

- تعالي لنرى العمة آنيت.. إنها تنتظرنا بفارغ الصبر منذ ساعات. لن تتمكن من البقاء صاحية لمدة طويلة، ولا يجب أن نبقى معها سوى دقائق قصيرة، الحديث يتعبها.

كانت كريس تجلس إلى جانب سرير العمة آنيت، تمسك الأصابع الضعيفة الصغيرة بين أصابعها.. التفتت إليهما مبتسمة:

- هاهما! قلت لك إنهما سيأتيان بعد لحظة.

ابتسمت العمة لهما.. كانت عيناها دامعتين وغامضتين الليلة.. قالت بصوت منخفض:

- كايل وغابي.. عزيزاي.. كم أنا سعيدة!

فتح روبي فمه، ثم صمت بعد أن لكزته غابرييل في ذراعه.. تقدمت إلى السرير، وانحنت مبتسمة لوجه العمة الناعس.

- كيف حالك الليلة؟ تبدين أفضل بكثير!

ولم يكن هذا صحيحاً.. فالعمة بدت منهوكة القوى ومتعبة.

لمعت العينان الخابيتان قليلاً:

- حقاً؟ هذا جيد.. تبدين جميلة جداً عزيزتي غابي.. تمتعي بحفلتك. أحب سماع الناس يتمتعون بأنفسهم.. أتمنى لو أستطيع النزول لأكون معكم.. لكنني أشعر بالنعاس.

- مرة أخرى.

- أجل.. مرة أخرى..

وأغمضت العمة عينيها فجأة، وبدأت تتنفس بانتظام.

وقفت كريس متنهدة.

- إنها تغفو هكذا باستمرار، كل بضع دقائق.. أظن أن الأقراص التي تتناولها تجعلها ناعسة دائماً.

قالت غابرييل:

- إنها توقف الألم.. وهذا هو الأهم.. وأنا سعيدة لأنها لا تتألم الآن.

دخلت العمة كاتلين بهدوء:

- كريس.. انزلي إلى تحت، وانضمي إلى الحفلة.. سأبقى هنا معها.

- واثقة أمي؟

هزت الأم رأسها ونظرت إلى غابرييل ببرود وقطب روبي!

وهما ينزلان إلى الطابق السفلي، أمسك يد غابرييل:

- لم تكن أمي تقصد أن تكون غير لطيفة، وتعرفين هذا.. أعتقد أن ادعاءنا قد أزعجها.

هزت رأسها:

- أدرك هذا روبي.. إنها تعرف الحقيقة الآن.. وأعتقد أن فيلبس أخبرها.. ويبدو أنه أخبر الجميع.

استدارت كريس تنظر إليهما:

- لم تكن منصفاً مع أمي روبي.. إنها نكِدة لأنك كذبت عليها.

رد بحدة:

- فعلنا هذا لأجل العمة آنيت.. صحيح أن الكذبة سخيفة لكن المقصد منها طيّب.

قالت كريس بحدة:

- كلماتك الأخيرة مبتذلة!

توسلت إليهما غابرييل:

- أوه.. ما الفائدة من الشجار..؟ قضي الأمر الآن.

هزت كريس كتفيها.. ولم تقل المزيد.

وصلوا إلى الغرفة التي تجري فيها الحفلة ليجدا الدكتور كلينت يتحدث إلى فرد سمرفيلد، بينما السيدة سمرفيلد تنظر إليه متجهمة.

احمر وجه كريس عندما رأته، واتجهت إلى الجهة الأخرى من الغرفة.. ثم توقفت بعد أن نهض جوش من مقعده ليحيّيها.

غيّر روبي الاسطوانة ليضع اسطوانة ڤالس هنغاري، ثم التفت إلى غابرييل ودعاها للرقص. دخلت بين ذراعيه الممدودتين، وتحركا إلى الجهة الأبعد من الغرفة حيث انتزعت السجادة، وأزيح الأثاث. فشكلت هذه الفسحة المكسوة بالخشب حلبة رقص ممتازة.

استدار فرد إلى زوجته:

ـ هلاّ تجاهلنا سنّنا عزيزتي؟ لقد مر وقت طويل لم نرقص فيه.

ابتسم للدكتور كلينت:

ـ الرقص العصري لا يعجبني.. فما معنى الرقص مع شريكة من دون أن تلمسها؟ أمر بغيض!

قال الدكتور:

ـ ذلك يمنع التقرّب من الطرف الآخر.

ونظر نظرة أمل نحو كريس.

أمسك جوش يد كريس:

ـ هل لنا أن نريهم كيف يجب أن يكون الرقص؟

احمر وجهها بشدة.. حتى عنقها وكتفيها أصبحا بلون زهري.. وتمتمت:

ـ إذا.. إذا شئت. لكنني لست بارعة في الرقص.. أنا.. ربما.. يجب أن ترقص مع غيري؟

ضحك جوش:

ـ ومن تقترحين؟

أشاحت بنظرها عنه:

ـ أوه.. هذا سخف مني! بالطبع، ليس هناك غيري هنا!

تنحنح الدكتور كلينت، وقال:

ـ بما أنك الفتاة الوحيدة الحرة.. فستكونين مطلوبة للرقص كثيراً.. ويجب أن ننتظر أدوارنا.

نظر إليه جوش بتكاسل:

ـ أوه.. لا كلنت! الليلة سيكون الأمر صعباً! ولن أشارك كريس مع أي رجل آخر.

نظرت كريس إليه بدهشة وذهول، ونظرت إليه غابرييل لسماعها قوله، ثم نظرت إلى كايل.. كان يجلس إلى جانب فيلبس، يتحدثان باهتمام، رأسه محني لسماع ما يقوله جده.. بدا أنه لا يعي ما يجري في الجانب الآخر من الغرفة.

أعادت غابرييل نظرها إلى أخيها من فوق كتف روبي.. والتقت نظراتها بنظرات جوش.. ماذا يفعل جوش؟ هل يحاول إبقاء كايل والدكتور كلنت بعيدين عن كريس؟ هذا لن يفيد أحداً.. ومن المستحسن أن تكون كريس في رفقة الدكتور كلنت.. فإذا كانت مع جوش، ستتمكن من رؤية الإعجاب الذي يظهره لها الدكتور كلينت.. لكن لا داعي للتدخل في حياة الآخرين.

ثم تماسكت. إنها فعلاً تتدخّل؟ أو على الأقل تأمل أن يكون ما تفكر به ممكناً! إنها تريد أن تعجب كريس بالدكتور كلينت لأنها تريد أن تبعدها عن كايل.. إنها مذنبة في مثل هذا التدخل، أو على الأقل في هذا التوقع.

مرّ بهم جوش وكريس بسرعة، وجه كريس وشعرها البنّي الناعم قريبان جداً من كتف جوش، وطيّات فستانها الأصفر الطويل تتطاير حولها.. تبدو كلاسيكية جداً لكنها تروق للنظر بتحولها الجديد. عنقها النحيل المكشوف يلفت النظر إلى بشرتها الناعمة البيضاء. كانت قلادة في سلسلة ذهبية، تلمع على صدرها وكذلك عصبة الشعر المذهّبة على رأسها.

راقبتها غابرييل من فوق كتف روبي.. وتنهدت. فنظر إليها روبي.

ـ ما الأمر؟ تبدين كئيبة جداً.

ابتسمت له:

ـ حقاً؟ أنا لست هكذا. حزينة قليلاً، ربما بسبب العمة آنيت.

ـ هل فكرت باقتراحي غابي؟ هل تحاولين إقناع نفسك بحبّي؟

ردت بلطف:

ـ لست بحاجة لهذا، فأنا متعلقة بك كثيراً روبي.. وتعرف هذا.
حرك أنفه وقال بصوت مرح، دون ابتسام في عينيه:
ـ متعلقة؟ هذا لا يكفي حبي. فأنا أطلب حباً لا يموت.
تنهدت مرة أخرى:
ـ أوه.. هذا كثير.. أليس كذلك؟
لاقت عينيّ كابل عبر الغرفة.. بدا جامداً وهادئاً، نظرته الزرقاء تراقب ببرود، أدارت رأسها بعيداً عنه وقالت لروبي بهدوء:
ـ أخشى ألا أستطيع أن أعطيك هذا النوع من الحب روبي.
ـ هل أنت متأكدة؟ ألا يمكن أن ينمو هذا الحب معك؟
ـ لا تسألني هذا روبي! أكره أن أجرح شعورك. أتخلى عن أي شيء لأتمكن من التفكير بك كما تريد.. لطالما كنّا مقربين.. ألم نكن مقربين جداً؟ كأخ وأخته.
راقبها مطولاً، وقد اختفت الابتسامة عن شفتيه وعينيه معاً.
ـ لا تقلقي حبي! لن أقول إنك حطمت قلبي.. أعتقد أنني من النوع الشاعري.. أحب وأترك.
رفعت يدها عن كتفه، ولامست خده بلطف، تبتسم لعينيه:
ـ أنت أبله روبي!
ـ تقولين هذا دائماً. في يوم ما سأجد فتاة تحبني ولا تلاحظ كم أنا أبله.
ـ بكل تأكيد.. فربما تجد المثات.
قال بصوت منخفض ناعم:
ـ لكن.. ليس أنت.
تنهدت ووضعت خدها على خده:
ـ ليس أنا، كما أخشى عزيزي روبي.
أدار رأسها وقبل خدها برقة، وقال:
ـ آه.. حسناً.. هذا كله جزء من نظام حياة الأثرياء.. كما أعتقد.
توقفت الاسطوانة فترك روبي غابي، ليغيرها.. وتقدم الدكتور كلينت

يلف حول جوش وكريس، يحدثهما بخفة.. نظرت كريس إليه بابتسامة متوترة، تتلمس بأصابعها الشريط الحريري المتدلي من ياقة فستانها حتى الخصر.
قال الطبيب لها:
ـ تبدين كراعية الغنم الصغيرة.. لكن أين هي أغنامك؟
أشفقت غابرييل على نظرة كريس المرتكة وانضمت للمجموعة الصغيرة، وقالت:
ـ كريس، تعالي وساعديني في المطبخ.. أتسمحين؟
نظر إليها الدكتور كلينت ساخطاً:
ـ أوه.. سنبقى دون فتيات جميلات!
ردت غابي بلطف:
ـ لن نتأخر كثيراً.
خرجتا إلى المطبخ، وبدأتا بجمع الأطباق المختلفة المحضرة سلفاً.. وكانتا تنويان وضعها في غرفة الطعام، حيث يستطيع الجميع تناولها متى يشاؤون.
نظرت غابرييل إلى كريس وهما تعملان:
ـ يعجبني الدكتور كلينت، يبدو لطيفاً جداً.
احمر وجه كريس، ونظرت إلى غابي نظرة غريبة:
ـ أوه.. حقاً؟
سألت غابرييل:
ـ ألا يعجبك؟
تمتمت كريس:
ـ إنه.. لطيف جداً.
ـ لكنه لا يعجبك؟
بدا الضيق على كريس:
ـ الأمر ليس هكذا!

www.elromancia.com

لكن هذا الإحساس جعل غابي تصر على معرفة ما يجري خلف عدائيتها نحو الطبيب.. لذا سألت:

ـ ما الأمر إذن؟

ترددت كريس:

ـ إنه.. أنا.. نحن خرجنا معاً مرتين أو ثلاثة. أعتقد.. أنه معجب بي.. ربما في كلامي شيء من الغرور.

ـ أنا واثقة من إعجابه، ولم لا؟ أنت جميلة، لطيفة جداً.. ويبدو إعجابه أمراً طبيعياً.

ـ أجل.. لكن.. أترين، أنا لم أستطع أن أعجب به.. كما يريدني أن أفعل..

تابعت غابرييل ترتيب الأطباق في الصواني استعداداً لحملها إلى غرفة الطعام، وقلبها بارد مثلج.

ـ لماذا لا تستطيعين الإعجاب به كريس؟

وقررت أن الوقت حان لكشف كل شيء.

نظرت كريس حولها بيأس، وكأنها تبحث عن عون. كان خدّاها يلمعان بلون زهري، وعيناها متوهجتان كما لو كانت مصابة بالحمى.. ورأت غابرييل أن عليها دفعها أكثر.

ـ أظن أنني أعرف السبب!

ـ حقاً تعرفين؟

ـ تحبين شخصاً آخر.. أليس كذلك؟

ابتسمت كريس متوترة، وهزت رأسها إيجاباً:

ـ أجل.. هذا هو السبب.

أخذت غابرييل نفساً عميقاً.. تشعر وكأن قلبها يمر بآلة عصر.. لكنها كانت مصممة أن تجعل كريس تقول لها الحقيقة.. لا مزيد من الشكوك، لا مزيد من الأمل أو الخوف.. فقط الحقيقة المرّة.

ـ من هو كريس؟

نظرت كريس إليها بابتسامة خجولة صغيرة:

ـ لا بد أنك عرفت! لا أحد غيره.. وهو لم يلاحظ وجودي.. حتى هذه الليلة.

والتمعت عيناها بإحساس عميق دافىء..

ـ أظنه أخيراً لاحظ وجودي.. بعد هذه الليلة.

احتارت غابرييل.. ونظرت إلى كريس بعينين متسعتين محتارتين.

حتى الليلة؟ لا يمكن أن يكون كايل.. بالكاد نظر إلى كريس طوال الأمسية.. إلا إذا كان فعل هذا قبل وصولهم، طبعاً.. لكن، ماذا عن الحديث الذي سمعته؟

سألتها بخشونة:

ـ من تعنين كريس؟ ظننته كايل!

نظرت إليها كريس بذهول ظاهر، وفمها مفتوح. ثم ضحكت:

ـ كايل؟ لا يمكنك أن تفكري أنني أحب كايل! إنه كبير السن بما يكفي ليكون عمي، إذا لم يكن أبي!

استدارت عيناها فضولاً:

ـ أوه غابي.. هذا ليس سبب..؟

احمر وجه غابي:

ـ لا تهتمي بهذا.. من هو الحبيب كريس.. بحق الله.

قالت:

ـ إنه جوش، بالطبع!

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ الحب هو المشكلة

أوقعت غابرييل وعاء من البطاطس المهروسة على الأرض ليتحطّم بصوت مرتفع. . ونظرت إلى الأرض بارتباك.

ـ أوه يا إلهي! سوف تقتلني العمة كاتلين!

ركعت كريس تنظف المكان، فغطى شعرها البني وجهها بحيث لم تعد غابرييل تراه.

سألت غابرييل وهي تركع إلى جانبها، لتساعدها بأصابع ترتجف:

ـ كريس، هل هذا صحيح؟

ـ أجل. . لن تقولي له غابي. . أليس كذلك؟ لن أتحمل لو عرف. . سأحس بإذلال شديد.

ردت بسرعة:

ـ بالطبع لن أتنفس بكلمة له. . لن أفكر بشيء كهذا.

ثم أحست بقلبها يتصاعد إلى حلقها خفيفاً كفقاقيع الصابون. . وبدأت تضحك بضعف.

ـ لكن. . جوش؟ لم أشك في هذا لحظة! لقد كتمت سرك جيداً كريس؟

قالت كريس ببساطة:

ـ أنا مسرورة لهذا.

ووقفت ووضعت بحذر البطاطس المهروسة وقطع الزجاج على ورقة ولفّتها جيداً ثم وضعتها في سلة المهملات.

كانت أفكار غابرييل مشاعر متشابكة مشوشة. . جوش وكريس! لم تشك بهذا لحظة، لكن هذه الحقيقة غيّرت كل شيء.

شحب وجهها فجأة. . فاستدارت تنظر إلى كريس بعينين متّسعتين مذعورتين.

ـ كريس! يجب أن أسألك. . في يوم ما، منذ عدة أشهر، سمعتك تتكلمين مع كايل في الحديقة، وكنت تبكين.

احمر وجه غابرييل وأشاحت بوجهها عن وجه كريس المهتم، المحتار. . وأكملت:

ـ كان كايل. . كان يحتضنك ويواسيك. كنتما تتحدثان عن عدم رغبتكما في جرح شعور شخص ما. . وحول كتم الحقيقة. . وإبقائها سراً كي لا يعرفها أحد!

أخذت ترتجف بعنف. . كانت ترى المنظر أمامها الآن. . وتشعر بردة فعلها بالحدة عينها التي شعرت بها يومها.

سألت كريس:

ـ أجل؟ وماذا بعد؟

نظرت إليها غابرييل متفحصة، فلم تجد أثراً لعقدة ذنب أو خوف على وجهها الصغير الشاحب. بل مجرد فضول لطيف، وشيء من الحزن.

أكملت تسأل:

ـ عمن كنتما تتحدثان؟

قالت كريس فوراً:

ـ عن العمة آنيت بالطبع. . كان الدكتور كلينت قد قال لي الحقيقة لتوه. . كنا نعرف أنها ليست على ما يرام، لكننا لم نعرف مدى خطورة وضعها. . وكان الطبيب قد اكتشف المرض وأخبرني، ثم أخبر كايل وفيلبس.

أغمضت غابرييل عينيها. . أوه. . يا الله! ماذا فعلت؟

تقدمت كريس منها، ووضعت ذراعيها حولها برعب:

www.elromancia.com

ـ غابي.. تبدين مريضة جداً! ما الأمر؟

ثم بدأت تستوعب الموقف ببطء، وقالت:

ـ أوه.. لا!.. أنت لم تعتقدي...

وصمتت، تفكر:

ـ هل فسخت خطوبتك لأنك ظننت أنني وكايل..؟ أوه. غابي.. هذا فظيع!

بدأت غابرييل تضحك ضحكة هستيرية..

ـ لقد بدا لي الموقف مريباً.. أيمكن أن تتذكري ما قيل؟ لم تذكرا اسماً.. بل مجرد إحساس بالذنب والتعاسة في إخفاء الحقيقة «عنها».. فماذا يجب أن أظن؟ لقد بدا كايل عاطفياً لطيفاً! حامياً! وقفزت أتمسك بالاستنتاج الواضح.

نظرت كريس إليها مذهولة:

ـ لكن لماذا لم تسألي كايل؟ لماذا لم تتأكدي قبل أن تتصرفي على أساس ما سمعت؟

استدارت غابرييل عنها، تهز كتفيها:

ـ كيف يمكن أن أسأله؟ فلو عرف أنني عرفت لكان هذا سيحملكما حمل ذنب ثقيل، حسب ظني. كنت يائسة، لكنني لم أرغب في السؤال!

استدارت إليها مجدداً تبتسم:

ـ على أي حال.. لقد كبرنا كلنا معاً.. وأنا أحبك كثيراً كريس.. وأحب كايل أيضاً.

شحب وجه كريس:

ـ أوه غابي.. لا بد أنك قاسيت جداً... كم كنت شجاعة كريمة الأخلاق! مجرد التفكير بنا بعد ما رأيته! ولست أدري كيف تمكنت أن تضحي بنفسك هكذا.

هزت غابرييل رأسها تكشر كمن يتألم:

ـ مزاج التضحية بالنفس، ونبل الأخلاق، لم يدوما طويلاً. أحسست

أنني أكرهكما معاً، ولزمن طويل! لا تظني أنني كنت كالقديسة الشهيدة.. فأنا لم أكن هكذا!

قالت كريس بصراحة:

ـ يدهشني كيف استطعت البقاء مهذبة معي.. لا أظنني كنت سأتمكن من أن أكون متسامحة هكذا، لو كنت مكانك!

قالت تعترف:

ـ أحسست أنني منافقة. أفكاري الداخلية كانت مسمومة.. مع ذلك، حافظت على ادعاء الهدوء والوقار.

جلست كريس على كرسي تتفرس بغابرييل.

ـ لكن، لا بد أنه خطر ببالك أنك قد تكونين مخطئة؟ أعني كايل وأنا لم نكن يوماً من المقربين! لطالما نظرت إليه كأخ كبير.. أو كعم. إنه تقريباً في ضعف سني!

ـ أخشى أنني قد ظننت أن عدم إظهار المودة بينكما سببه الخجل! حين اعترفت لي يوماً أنك ارتكبت غلطة في الوقوع في الحب، ثم قلت إنك لن تستطيعي الحديث معي خاصة أنا بالأمر.. ظننت أنك تتكلمين عن كايل!

ضحكت كريس:

ـ بالطبع.. أستطيع تصور هذا! وأنا كنت أفكر بجوش طوال الوقت، ولا أريده أن يعرف. خفت لو اعترفت لك بما أشعر به، أن تلمّحي له بذلك، أو تفشي له السر بطريقة ما.

وضعت غابرييل يديها على خديها الساخنين.

ـ أوه كريس!

تذكرت فجأة أنها أخبرت جوش عن شكوكها حول كايل:

ـ لقد فعلت شيئاً أكثر سوءاً!

أجفلت كريس:

ـ ماذا؟

ـ أطلعت جوش على شكوكي بك وبكايل!

تحول لون وجه كريس إلى الأبيض وأصبحت عيناها بركتين بنيتين متسعتين، متألمتين.

ـ أوه.. لا! سيكرهني!

ـ كريس.. أنا آسفة! يا لهذه الورطة المريعة التي تسببت بها.. لكن نيتي كانت طيبة!

ـ ماذا قال جوش؟

ـ ذهل.. ولم يكن راضياً.. بدا متكدراً. وقال إنك لا بد جننت لتتورطي مع كايل، لأنه لا يناسبك أبداً.

نظرت كريس إليها، وتسلل اللون الزهري مجدداً إلى وجهها الأبيض:

ـ ترى ماذا يعني بهذا التعليق؟

ـ لست واثقة.. لكن تصرفه معك الليلة يبعث على الأمل... أليس كذلك؟

تنهدت كريس، وانخفض كتفاها:

ـ هذا ما ظننته.. لكنني الآن أرى أنه ربما يحاول مساعدتك.. على الأرجح أنه حاول إبعادي عن كايل، دفاعاً عنك!

ثبتت كريس ابتسامة مشرقة على فمها الشاحب.

ـ حسناً.. على أي حال.. على الأقل، نتج عن هذا شيء جيد! بإمكانك الآن أن تذهبي إلى كايل وتقولي له الحقيقة.. وتعودان إلى الخطوبة.

نظرت غابرييل إليها بندم كليل:

ـ لا كريس.. لن أستطيع هذا.

ـ لكن بلى بكل تأكيد وقد عرفت الآن أنك مخطئة..

هزت غابرييل رأسها تقاطعها:

ـ ضعي نفسك مكان كايل! سيغضب كثيراً.. لا.. لن أستطيع أن أقول له. سيكون هذا طلباً واضحاً للعودة إليه.

ـ ألا تريدين الزواج منه؟

تنهدت غابرييل:

ـ ليس الأمر بهذه البساطة.. عديني كريس أنك لن تتنفسي بكلمة له.. أو لأي شخص آخر.

ـ لكن.. غابرييل..

ـ عديني..

تنهدت كريس:

ـ لن أستطيع الرفض.. أليس كذلك؟ حسن جداً، أعدك لكني واثقة من أنك ترتكبين غلطة.

ـ كريس.. لقد فسخت خطوبتي مع كايل لأنني أسأت فهم شيء سمعته. فإذا ذهبت الآن إلى كايل وقلت له هذا.. سيغضب قبل كل شيء لأنني لم أثق به كفاية لأسأله فوراً.. ثم سيكون له الخيار، إما أن يطلب الزواج مني مجدداً، أو يرفض هذا.. وفي كلا الحالين، سيكون مدفوعاً إلى ذلك دفعاً. ألا ترين هذا؟ وسيكون من المذل لي لو طلب مني أن أغرب عن وجهه.. حتى ولو اقترح فوراً أن نعود إلى الخطوبة، سأشك دائماً بأنه فعل ذلك بدافع الواجب!

نظرت كريس إليها دون أن تفهم:

ـ تعقدين الأمور كثيراً.. أنت مدينة لكايل بقول الحقيقة له.

تأوهت غابرييل.. هذا صحيح.. فقد أسأت الحكم عليه تماماً.. وخطأته بشكل لا يغتفر.

سألت كريس بلطف:

ـ هل هي كرامتك غابي؟ أفهم هذا.. فلدي كرامتي كذلك.. كنت أتشبث بها كلما رأيت جوش، أو فكرت به.. وكانت عزائي الوحيد في أوقات كثيرة.. كنت سأموت ذلاً لو عرف بمشاعري.

قالت غابرييل ببطء:

ـ أعتقد أن الكرامة هي أحد الأسباب. لكن هناك أسباباً كثيرة أخرى.. أنا.. أريد أن أكون واثقة من أنه يحبني، أريده أن يأتي إليّ بإرادته،

أن يحس بأنه مدفوع إلى ذلك.

نظرت كريس إليها بقلق:

ـ غابي.. ماذا عن روبي؟

أجفلت غابي، وبدت عليها الحيرة والغموض.

ـ روبي؟

قالت كريس ببطء:

ـ أجل.. هل تشعرين بأي شيء نحوه؟

انفتح الباب وسط سؤالها، ووقف كايل فيه، ينقل نظره من إحداهما إلى الأخرى بسخرية:

ـ أجل.. هل تشعرين بشيء نحوه غابي؟

احمر وجهها بشدة، والتفتت لتحمل إحدى الصواني المليئة.

ـ هل جئت لتساعدنا في حمل الطعام؟ جيد!

وأعطته الصينية.

نظر إليها وهو يحملها، فمه الصارم يرتفع عند الزوايا، في ابتسامة متسلية حميمة.

ـ في وقت قريب، ستضطرين إلى الإجابة على هذا السؤال غابي! فاهربي ما دمت قادرة!

بعد خروجه، نظرت كريس إلى غابرييل مبتسمة:

ـ لا أظنك ستتشبثين بالكبرياء لفترة أطول، فكايل ليس من النوع الذي يقتنع بأي شيء! لطالما عرف ما يريد.. واندفع وراءه دون رحمة.

ـ لكنه تركني دون كلمة.

قطبت كريس:

ـ وهل فعل هذا؟ أعجب لماذا!

لحقتا بكايل تسيران ببطء بالصينيتين المثقلتين.. بعد ترتيب كل الطعام على الطاولة بأناقة، عادتا إلى الحفلة لإعلام الجميع بأن الطعام جاهز.

تذمر فيلبس:

ـ أخيراً.. ! لقد تأخرتما كثيراً!

ساعده كايل ليقف.. وانضم الدكتور كلينت إلى كريس ونظر إليها جيداً.

ـ أرجو أن تكون لي رقصة فيما بعد.. فأنا لم أرك كثيراً هذه الليلة.

أحنت رأسها محمرة الوجه.. وجاء جوش من ورائها يمسك مرفقها.. وابتسم للرجل الآخر بأدب.. قال:

ـ سآخذك لتناول العشاء.. هل هذا ممكن كريس؟ بإمكانك مساعدتي في ملء طبقي.. هل أعددت طبق «الريساتو» الشهير هذه الليلة؟.. أحبه كثيراً.

عبس الدكتور كلينت عندما أبعد جوش كريس وسار معها إلى خارج الباب، ثم أسرع وراءهما. ربما كان ظهور منافس قد أيقظ أخيراً الإحساس بقيمة كريس في نفس جوش.

جعلت فكرة تحرك جوش السريع غابرييل تضحك.. ماذا يمكن للحب أن يفعل بالناس؟ يمكنه أن يغير طبيعتهم كلها.. ولو مؤقتاً على الأقل!

أجفلت لعودة كايل إلى الغرفة، ونظر إليها ببرود، حاجبه الأسود مرتفع بسؤال:

ـ ألن تأتي لتأكلي؟

ـ بلى.. كنت قادمة لتوي.

أمسك معصمها وهي تحاول تجاوزه، وأوقفها على بعد ذراع منه، ينظر بسخرية إلى عينيها.

ـ ليس بعد!

مال إلى الأمام ليدير جهاز الستيريو.. وملأ الجو موسيقى هادئة جميلة.

استدار إليها، واندست يده ببطء حول خصرها ليجذبها بين ذراعيه، وارتفعت اليد الأخرى فوق رأسها حتى كتفها.

قال:

ـ لم نرقص معاً منذ زمن بعيد.

وقفت مسمرة مكانها:

ـ منذ حفلة نادي الكريكت.

قال بصوت بارد:

ـ يوم عانقك روبي.

احمرت وجنتاها:

ـ أجل!

سألها وفي نبرة صوته توسل وتحدّ:

ـ هلاّ رقصت معي.. غابي؟

تركته يمسك يدها.. تسارعت نبضات قلبها حتى خيّل لها أنه يسمعها.. وعرفت ما هو الشعور الذي يستولي عليها.

رفعت نظرها إليه من تحت رموشها، ورأت وجهه يبدو هادئاً.. فجأة تذكرت ما قاله والدها وفيلبس عنه.. هل أي شيء مما قالاه صحيح؟ هل عاملها دائماً بخشونة، سيطر عليها وفرض إرادته؟

أجل.. بالطبع هما على صواب.. فكايل عنيد، متعجرف، حازم، وسيحاول حتماً أن يحكمها كما يحكم المصنع والمؤسسة كلها.. بيد من حديد.. لم تكن تدرك ذلك لأن الإحساس بالحب كان جذاباً إلى حدّ أنه أعمى بصيرتها.

رأت الآن أن الحديث الذي دار بينها وبين كريس، لم يكن سوى الفصل الأخير من الرواية. فقد سبق ووصلت إلى نقطة الانهيار بسبب تصرفه المتعالي، وليس من العدل لوم أبيها على تلك الخطوبة الطويلة.. فلو أنها تزوجت كايل فوراً، لوصلا إلى النقطة عينها عاجلاً أم آجلاً.. فطبيعته مبنية على أساس الزعامة. مشكلته الحقيقية هي في أنه لم يواجه يوماً خصماً قوياً، ما عدا فيلبس. والعجوز مسرور جداً بالنسخة التي يراها في كايل عنه، ولم يحاول بجدّ أن يضع له الضوابط.. إلا بعد فوات الأوان.

لكنها تحب كايل فوق كل اعتبار، فماذا يمكن أن تفعل؟ حبها له يجعلها ضعيفة.. وانتفضت كرامتها متمردة.. وقالت لنفسها.. خذي

بنصيحة فيلبس.. حاربي كايل قبل أن يفوت الأوان. فإذا كان يحبك حقاً، فسوف يتنازل.. فالحب هو الرد وهو المشكلة.

نظر كايل إليها يبتسم منتظراً:

ـ هل نبدأ مجدداً غابي؟ هل ننسى الماضي؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أنا مستعد أن أنسى عبثك مع روبي.

ـ حقاً.. كايل؟

وضع يده تحت ذقنها، ورفع رأسها إلى الوراء. واشتعلت شرارة صغيرة في عمق العينين الزرقاوين وهو ينظر إليها.

قال بصوت أجش:

ـ أنت جميلة جداً غابي، أجل أستطيع نسيان أمر روبي.. ربما يقع عليّ بعض اللوم فقد تركتك لوحدك كثيراً.. وسئمت، وكان روبي موجوداً دائماً.

تكورت شفتاه بغضب.

ـ كان يجب أن ألقّنه درساً عندما عرفت ما كان يفعله لكنني كنت أكثر غضباً لفكرة أنك قد تنظرين إليه.

سألت باللهجة الحلوة ذاتها:

ـ حقاً؟

نظر إليها مقطباً:

ـ لي كرامتي غابي!

ـ أجل.. بكل تأكيد.

تجهم وجهه:

ـ أتسخرين مني.. اللعنة عليك!

نظرت إليه ببراءة:

ـ وهل أجرؤ على هذا كايل؟

ـ ألا زلت مهتمة بروبي؟ هل هذا هو سبب برودك؟ حين سافرت إلى

إيطاليا كنت أنوي أن أعرف ما بينكما بالضبط.. وعرفت أنه لو كان هناك شيء، فلم يعد له وجود. فقد كنت تعبثين مع الطليان، وبدا لي أن روبي عاجز عن فعل أي شيء.. أوه.. رأيت أنه يغار.. فلقد علقته على وتر مشدود، لكنك فقدت الاهتمام به.. أو هكذا تصورت.

قالت بمنطق:

ـ ظننتك جئت إلى إيطاليا بسبب العمة آنيت.

رفع كتفيه:

ـ هذا صحيح.. لكنه سبب ثانوي.

ـ صيد عصفورين بحجر واحد.. أليس كذلك كايل؟ يا لك من اقتصادي بارع!

تفرّست عيناه بوجهها:

ـ تبدين متحفظة جداً.. ماذا تريدين أن أقول؟ لقد اعترفت بأنني لا زلت أريد الزواج منك.. لا زلت أجدك جذّابة.. وبأنني جئت إلى إيطاليا سعياً وراءك.. ألا يعني هذا لك شيئاً؟

أمالت رأسها إلى جانب واحد وقالت ببطء:

ـ أجل.. فهذا يعني أنك لا تعترف أبداً بالهزيمة كايل... أما أنا فأعرف.

اشتد ضغطه على شفتيه:

ـ لماذا تهاجمينني هكذا؟ ماذا دهاك بحق الجحيم؟ أنت لا تحبين روبي!

نظر بحدة إليها.. ثم سأل بلهجة غريبة:

ـ هل تحبينه غابي؟

هزت رأسها بهدوء:

ـ لا.. وأنا لم أكن أحبه يوماً.. لقد استغليته لصالحي دون خجل.

ضحك وأطلق تنهيدة ارتياح طويلة:

ـ كنت أعرف!

انحنى يقبل خدها بقوة وسرعة، ثم ابتسم.

ـ وأنت تحبينني.. لا أستطيع تصديق أنك لا تحبينني!

خطت إلى الوراء بسرعة، فوقعت يداه عنها، فحدق بها مقطباً.

ـ ألا تصغي أبداً لنفسك كايل؟ ألا تسمع أبداً ما تقول؟ تقول لي إنك تريدني، لاحظ الكلمة «تريدني»! ثم لك الجرأة المتناهية في الإصرار على أنني «أحبك» وتقول إنك لا تصدق أنني «لا أحبك»، وهناك فارق كبير جداً بين الكلمتين كايل! الرغبة والحب ليسا الشيء عينه.. وإلى أن تفهم الفرق، وتستطيع صادقاً أن تعرض عليّ أكثر من أن أكون هدف حاجاتك المؤقتة، لا أريد أن يكون لي شأن بك.

استدارت على عقبيها، ووجهها شديد الاحمرار وخرجت من الغرفة.

انضمت إلى الآخرين، وراحت تفرط في تناول طعام لم تكن تريد تناوله.

كان فيلبس يجلس على مقعد مرتفع الظهر، يأكل ببطء قطعاً من اللحم البارد.. ونظر إليها باهتمام، وأشار لها بإصبعه بطريقته المتكبرة المتعجرفة.

تقدمت غابرييل إليه، ترفع حاجباً متسلياً:

ـ حسن جداً فيلبس.. ماذا تريد مني الآن؟

نظر إليها بحدة:

ـ آهه! أنت متألقة جداً الليلة يا فتاتي.. ما الذي يجري؟

تحركت نظرته من فوق كتفها إلى الباب ينظر إلى كايل الذي دخل الغرفة لتوه، ووقف ينظر إلى ظهرها بوجه قاس غير مبتسم.

ارتفعت على وجه فيلبس ابتسامة رضى:

ـ هل تلعبين لعبة الثعلب والكلاب مع كايل؟ هذه هي الفكرة!

نظرت إليه بمحبة وسخرية:

ـ تتمتع بكل الغرائز «السادية» فيلبس! وأنا خجلة منك!

رد مبتهجاً:

ـ كلام هراء! الصبي كان متّجهاً إلى أن يقع..

رفع يدها وقبلها بإيماءة احترام:

ـ أنا أحسده، ولا أمانع أن أعترف! أنت لست فقط جميلة جداً، بل أنت

www.elromancia.com

كذلك مخلوقة بروح معنوية عالية... اجعليه يركض ليكسب ما يريده غابي! اجعليه يركض!

ضحكت له، تهز رأسها:

- شكراً لك على النصيحة فيلبس.. لكن هل يمكن أن تدعني أتولى شؤوني بنفسي؟ أنا فتاة كبيرة الآن!

كان الدكتور كلينت يطوف حول كريس التي كان تقضم الطعام متوترة، حمراء الوجه، مشرقة العينين، وكأنها السنجاب الصغير الخجول. كان جوش يكلمها بهدوء متجاهلاً الطبيب، لكن غابرييل خمّنت، وحسب تعبير وجه كريس، أنها بالكاد تفهم ما كان يقوله بسبب توترها الشديد.

تقدم فرد سمرفيلد عبر الغرفة ليكلم ابنته وعيناه على فيلبس: «الأطباق لذيذة جداً».

ردت غابرييل:

- يجب أن توجه هذا الإطراء لكريس، وليس لي أبي. لست المسؤولة عنه، إنه جيد أليس كذلك؟ كريس ماهرة جداً.

نظرت إلى أبيها متسلية، تتساءل عما سيقول لو تزوج جوش من كريس، هل سيكون راضياً؟

تقدم روبي منها مبتسماً وقد عاد إلى طبيعته المرحة. ردت له الابتسام، مرتاحة لرؤيته يعود لنفسه.. كانت تخشى أن تكون جرحته في الصميم، لكن وهي تلتقي العينين البنيتين المتراقصتين، رأت الابتسامة الخجولة على شفتيه، فصرفت النظر عن الفكرة تماماً.. روبي لا يحمل هماً في قلبه.. مهما كان شعوره نحوها، فهذا الشعور لم يدخل إلى أعماق نفسه كثيراً.. مجرد جاذبية سطحية، عقّدتها الصداقة الطويلة، وهذا كل شيء.

قال:

- أنت لا تأكلين! ألست جائعة؟ إذن تعالي لنرقص! لا يزال الليل في أوله.. أم نصعد لزيارة العمة آنيت؟

- لا.. لا بد أنها نائمة الآن.. لن نزعجها مرة أخرى هذه الليلة،

فلنرقص روبي.

أمسك يدها وأخذ منها الصحن ليضعه على الطاولة، وأخذها إلى الغرفة الأخرى، وراقبهما كايل وهو يستند إلى الجدار، وجهه قناع بارد.. وابتسم روبي له بخبث، ورأى في أعماق عينيه القاسيتين شعلة غضب خبت بسرعة. لاحقت غابرييل نظرة روبي ورأت تلك الشعلة تخبو قبل أن يقفل جفنيه عليها.

وصلا الغرفة الأخرى، فنظر روبي إليها وأشار إلى الوراء.

- أيمكن أن تري؟

- أرى ماذا؟

- الخنجر الذي طعنت به كايل للتو.

ردت ضاحكة:

- أبله!

رماها بنظرة كئيبة:

- حبي.. في يوم ما، سيلازمني هذا الاسم!

تحولت إلى الجد فوراً:

- آسفة! وهل تمانع حقاً؟ بالطبع لن أستخدم هذه الكلمة مرة أخرى إذا كنت تمانع، لكنني أحملها كل محبتي لك روبي!

ابتسمت لها عيناه:

- أعرف! لا تهتمي، كنت أحلم فقط! تعجبني طريقة قولك للكلمة.. حقاً!

ابتعد عنها ليضع اسطوانة جديدة، ثم عاد ليمسكها بين ذراعيه، ويقول بمرح:

- ارقصي، ارقصي يا سيدتي الصغيرة!

وراحت ترقص معه ضاحكة.

* * *

١٠ ـ في يدها سلاح

استيقظت غابرييل في الصباح التالي على عالم مشرق، وأشعة شمس باردة. . بقيت مستلقية تبتسم، وتحدق في السقف. أحست بالإثارة وهي تراجع أحداث اليوم الفائت، فقد تمكنت من تجنب كايل لما تبقى من الأمسية، لكنه كان حاضراً على الدوام، نظرته مسمرّة عليها وهي ترقص مع روبي أو الدكتور كلينت. . كانت تشعر بحضوره كل لحظة.

ثم تلاشت الابتسامة. ماذا لو لم يكن يحبها؟ ماذا لو أن ما يشعر به فعلاً هو مجرد حاجة جسدية؟ قفزت خارجة من السرير، وتقدمت إلى النافذة لتبعد عنها هذه الأفكار المتشائمة.

كان الاخضرار قد بدأ يزول عن الأشجار، ويحل مكانه لون ذهبي شاحب. . هنا وهناك، لمسات بنيّة خفيفة. . . كانت خيوط العنكبوت بين الأغصان تتطاير في الهواء، تلتمع فوقها قطرات الندى. كانت السماء صافية شديدة الزرقة، لكن في الأفق لاحت غيمات تتحرك متثاقلة، وكأنها الأغنام تساق فوق أرض وعرة، إنه الخريف. . وتنشقت غابي الهواء، وبدا لها أن هذا الهواء مليء بالدخان، يعبق برائحة المواقد المشتعلة. كان المرج مليئاً بالأوراق الجافة المجعدة، وزهر الأقحوان يلوّن مساكب الزهور. . .

دخلت الحمام، ثم خرجت لترتدي ثيابها بسرعة. . ارتدت قميصاً أخضر مشعاً وتنورة بلون بني فاتح، ثم نزلت لتتناول الفطور، وهي تدندن.

كان جوش على وشك إنهاء وجبته وهي تنضم إليه. . ووقف مبتسماً:

ـ لقد تأخرت. . يجب أن أسرع. . أوه، أمي، لن أجيء إلى العشاء هذا المساء. . سآخذ كريس إلى السينما.

هزت السيدة سمرفيلد رأسها دون اهتمام كثير. . لكن غابرييل رفعت نظرها بحدة تنظر إلى أخيها. . فغمز لها وخرج. . أكلت طعامها وهي تفكر بينما أمها تحضّر لائحة مشتريات، على وجهها تعبير مستغرق.

رن جرس الهاتف بعد لحظات وقالت السيدة سمرفيلد دون أن تتحرك:

ـ ردي عليه غابي، فأنا مشغولة.

وكان المتكلم فيلبس وصوته مرتجف قليلاً، لكن هادىء تماماً.

ـ غابي؟ لقد ماتت آنيت خلال نومها ليلة أمس. . وفكرت أنك تريدين أن تعرفي.

أغمضت عينيها متأوهة:

ـ أوه. . لا!

قال بلطف:

ـ هكذا أفضل. . إنها تبدو ساكنة هادئة. . ألا زال والدك هنا؟

ـ لا. . لقد ذهب إلى المصنع. . هل هناك شيء أفعله للمساعدة فيلبس؟

ـ لا يا عزيزتي. . لا شيء. . شكراً لك، نستطيع تدبير الأمور. . أيمكن أن تتصلي بوالدك عني؟ قولي له ما حصل، وقولي إنني لن أحضر إلى المصنع اليوم، ولا كايل بالطبع.

ـ سأتصل به في الحال.

رفعت السيدة سمرفيلد رأسها بينما كانت غابرييل تدخل ببطء إلى الغرفة.

ـ ما الأمر؟ . . آنيت؟

هزت غابرييل رأسها:

ـ وهي نائمة. . وبهدوء كامل. . كما قال فيلبس. اتصلت بأبي لأقول له. فيلبس وكايل لن يذهبا إلى العمل اليوم، لذا سيتأخر أبي الليلة.

وقفت السيدة سمرفيلد عند طاولة المطبخ وجرت دمعة على خدها. ثم قالت بصوت أجش:

- لقد عرفت آنيت تايسون منذ زمن طويل! وكانت أفضل صديقة لي!

وضعت غابرييل ذراعها حول أمها تربت كتفها:

- أعرف أمي.. ! كلنا أحببنا العمة آنيت.

- مسكين فيلبس.. كم سيفتقدها!

نظرت إليها غابي بارتياب:

- أتعتقدين هذا؟ لطالما بدا فيلبس مكتفياً بنفسه.

- إنه على الأرجح لا يعرف إلى أي مدى كان يعتمد على آنيت.. زوجته كانت من النوع السلبي. وكانت تخاف منه، ولو أنه كان لطيفاً معها، لكن بطريقة ساخرة.. وكانت آنيت مضطرة إلى إدارة المنزل منذ ذلك الوقت.. ومع كل رقتها، كان لديها الشجاعة لتقول له متى كان مخطئاً.

جلست غابي تنظر إلى الحديقة مفكرة. كانت الستائر تنتفخ بلطف مع النسيم.. واستطاعت رؤية قمم الأشجار، وآخر ورود الصيف في الشجيرات المتمايلة على طول التعريشة، أوراقها بنية مرتجفة، لكنها لا زالت محتفظة بلونها الداخلي الأخضر.

هل هذا ما أراده فيلبس لكايل؟ امرأة تقول له متى يخطىء؟

عاد جوش باكراً كعادته.. فقد اضطرت كريس إلى إلغاء موعدهما.. وكانت تساعد أمها بالترتيبات الضرورية. وكان فيلبس قد قرر ألا يدخلوا في فترة حداد على آنيت، إلا لوقت قصير، حتى الجنازة التي ستتمّ بعد ثلاثة أيام.

بعد أسبوع من هذا، مرّ روبي عبر أيكة الأشجار بين الحديقتين، لزيارة غابرييل، وفي عينيه نظرة عازمة. كانت تركع إلى جانب مجموعة الأقحوان الكبيرة تربطها إلى أعواد تدعمها.. ففي الليلة الماضية، هبت عاصفة عاتية، وضربت مساكب الزهور، وكسرت غصناً كبيراً من شجرة خوخ قرب الأشجار، وتركت الجذع مكشوفاً، ثم أوقعت قرميداً عن السطح المثلث،

وأبقت العائلة مستيقظة لساعات.

رفعت غابرييل نظرها إلى روبي وهو ينضمّ إليها، وابتسمت:

- كيف نمت؟ ألم تكن الريح رهيبة؟

- كنت مسروراً لأنني لم أكن في البحر.. جئت لأودعك غابي.

أجفلت وجمدت أصابعها على الشرائط الخضراء التي تستخدمها كرباط.

وكررت ببطء:

- تودعني!

- سأعود إلى إيطاليا.

جلست على عقب قدميها، وتفرست به:

- لوحدك؟

- أنت لن تأتي معي غابي.. أليس كذلك؟

- هل هذا تقرير أمر واقع.. أم سؤال؟

- أيهما تفضلين؟

ترددت:

- من قرر أن الوقت حان لعودتك؟

دس يديه في جيبيه:

- ومن تظنّين؟

- كايل؟

نظر إلى وجهها بابتسامة مرتبكة:

- ومن غيره؟

- وقرر كذلك أنني لست مسافرة معك؟

تصاعد غضبها، لكنها أبقت صوتها مستوياً وتصاعد الشرر من عينيها.. قال روبي:

- وهل هناك شك في هذا؟

رمت غابرييل ما في يدها ووقفت تقول بحدة:

ـ لن يملي عليّ أحد ما يريد، الأمر عائد لي لأقرر، لم يسألني كايل ما أريد أن أفعله.. لقد رتب الأمور دون استشارتي.. ولقد آن لكايل تايسون العظيم أن يكتشف أنه ليس المتحكم الأوحد بالناس!

وقف روبي يراقبها وهي تسير بسرعة عبر العشب وتختفي في أيكة الأشجار.. وهزته تنهيدة حادة.. وركل الأعشاب تحت قدمه.

خرج الجرو من المخبأ الذي اكتشفه خلف سقيفة الحديقة، وتقدم زاحفاً على بطنه يهز ذنبه.. وتمتم روبي:

ـ مرحباً داندي! لقد ذهبت سيدتك لتوها عاصفة بالغضب لتواجه كايل تايسون العظيم.. أنا وأنت سنكون الضحيتين في هذه المعركة..

نظر إليه الجرو متعاطفاً، ولعق له يده.

ـ أوه.. أنت تميز الضحية.

ربت على رأسه ووقف:

ـ حسناً داندي.. هذه تحية وداع. يجب أن نجد ما نستطيع من عزاء، أنت في زاويتك الصغيرة وأنا في زاويتي.

ثم سار تاركاً الكلب الصغير يلاحق ذنبه فوق المرج إلى أن توقف لاهثاً ثم ذهب سعيداً، بريئاً، لينام.

دخلت غابرييل حديقة «وايت برايرز» بسرعة المحرك النفاث، رأسها مرفوع استعداداً للمعركة.

كان كايل يجلس على الشرفة المسقوفة خارج الأبواب الزجاجية، في كرسي من الخيزران، يقرأ صحيفة، وضعها جانباً وهي تتقدم وتراجع إلى الوراء في كرسيه.. نظرته باردة دون دهشة.

سألت بحدة:

ـ هل قلت لروبي إنني لست عائدة إلى إيطاليا؟

ـ أجل.

اشتعلت عيناها:

ـ وكيف تجرؤ؟ أنا أتخذ قراراتي، وإذا أردت العودة إلى إيطاليا،

فسأفعل! من تظن نفسك.. تعامل الناس بخشونة.. تتحكم بحياتهم وكأنك سيدهم.. دون الاهتمام بما يفكرون أو يريدون.

وقف كايل يمسكها بذراعيها، ويشدها إليه:

ـ توقفي عن الكلام أيتها السليطة الصغيرة!

دفعته في صدره ساخطة، ثم ماتت الكلمات على شفتيها وهو يضمها بين ذراعيه.

سرعان ما استرخت، واستسلمت للسعادة التي أحست بها.. والتفت ذراعاها حول عنقه تشعر بقلبها يضرب بعنف، وقلبه يرد عليه بضربات راعدة.

حين تراجع عنها قليلاً ونظر إلى وجهها، كانت عيناها حالمتين، وشفتيها منفرجتين في تنهيدة رضى.

قالت:

ـ أكرهك.

تمتم بخبث:

ـ هذا ما عرفته.. ولقد تساءلت عما إذا كنت ستأتين إليّ أم لا. في النهاية اضطررت لأن أكون غير شكّاك مثلك حبي.. واستخدمت روبي لمصلحتي.

أطبق حاجباها فوق بعضهما:

ـ ماذا؟

ـ كنت أعرف، حين قلت لروبي إنك لست مسافرة معه، أنه سيقول لك هذا في الحال.. وراقبته يسير عبر الأيكة، ثم جلست هنا لأنتظر.. ومضت خمس دقائق.. أطول خمس دقائق في حياتي!

ـ أنت.. أنت..

خذلتها الكلمات، ورفعت يدها لتصفعه لكنه أمسك بها بقبضة من حديد.

ـ لا داعي للعنف حبي.. اللعبة يلعبها اثنان.. وأنت تطالبين

بالمساواة! حسن جداً.. لكن هذا يعني، أنك لو ضربتني سأضربك.. لقد تحملت الكثير من العقاب الجسدي منك في الماضي، ولم أفعل شيئاً لأرد.. من الآن وصاعداً، احذري! لن أكون رحيماً.. أعدك بهذا!

نظرت إليه بصدمة غاضبة:

- لقد عنيت ما قلته لك آخر مرة كايل.. لا يكفي أنك تريدني.. أنا لست مجرد غرض تريده كتحفة أثرية، أو سيارة جديدة، فأنا إنسانة.

مرّت نظرته عليها، مليئة بالإعجاب والمرح:

- هكذا أنت فعلاً، إنسانة جميلة جداً..

صاحت:

- لماذا لا تأخذني على محمل الجد؟

- وماذا تريدين أن أقول؟ إنني أحبك بجنون، لا أستطيع العيش بدونك؟ إنني عانيت الأمرّين بسببك؟ وإنني ألهث وراءك؟ هل يرضي هذا غرورك؟

نظرت إليه مكتئبة:

- كايل.. كل ما أريده هو أن تقول لي إنك تحبّني.. لا إنك تريدني، أو تجدني جذّابة.. إنك تحبني فقط.. الأمر بسيط جداً!

أمسك يديها بيديه، وأدارهما لينظر إليهما دون ابتسام، ثم رفعهما ببطء ليقبل كل راحة منهما على حدة، رأسه الأسود الشعر منحن بإذلال غير طبيعي خطف أنفاسها.

قال بلطف:

- أحبك غابي.. ولقد أحببتك منذ وقت طويل بحيث لم أعتقد أن من الضروري أن أقول لك هذا. ظننتك تعرفين ما شعرت به دائماً نحوك.. أحببتك وأنت صغيرة سمينة مزعجة، ترمينني بحلوى عيد ميلادك في ثورة غضب.. أحببتك وأنت منمّشة الوجه، كالقرد، في سن الثامنة.. تغشّين في لعبة السلم والأفعى.. أحببتك أكثر من أي شيء حين عدت من لندن، جميلة، بحيث لم أستطع إبعاد عيني عنك.. ولو أنني استعجلتك، فالسبب

هو خوفي من أن يصل إليك أحد قبلي.

مالت نحوه، يضعفها الارتياح والحب.. فأمسك بها يضمها بقوة.. همست:

- حبيبي.. حبيبي.. ما كنت لأحتمل لو أنك لم تحبني!

- لا أفهم كيف يمكنك أن تشكّي في هذا!

ترددت.. ثم أخبرته بما سمعته من حديث بينه وبين كريس.. وعن اعتقادها أنه يحب كريس، وعن قرارها فسخ الخطوبة.

أصغى إليها.. ثم أمسك وجهها بين يديه ورفع لها ذقنها.

- أيتها البلهاء الصغيرة السخيفة! من يسترق السمع لا يسمع أبداً شيئاً يرضيه.. ألا تعرفين هذا؟ لقد كدت تدمرين حياتنا بقفزك الخاطىء إلى استنتاج خاطىء.

ثم ضحك:

- كريس! من بين كل الناس! كريس الصغيرة.. التي لا تستطيع أن تؤذي نملة! كيف يمكن أن تتصوري أمراً كهذا؟ يجب أن أضربك لهذا التفكير.

- لكنك تركتني أذهب بسهولة.. ودهشت لأنك تظهر الارتياح.. ولا زال هذا التصرف يحيرني. فلو كنت تحبني، لماذا تركتني أذهب دون أن تقول كلمة؟

قسى وجهه بذكريات مريرة.

- أنا رجل متملك وغيور غابي.. وكنت أعرف أن روبي معجب بك. ورأيت كم أنت معجبة به. كنتما تتقابلان كثيراً وأنا مشغول.. وبدأت بالتدريج أشك.. وإلى أن أدركت الخطر، اعتقدت أن الأوان فات.. فقد تغيرت علاقتنا وأصبحت متشنجة، وأصبحنا نتشاجر كثيراً، ونتوتر مع بعضنا. وخشيت أن أضغط عليك كي لا أتسبب في الانهيار النهائي.. وقررت التخلص من روبي، فأرسلته إلى إيطاليا.. أملت أن يساعدني هذا. فما إن يبتعد عن الطريق، ستعود الأمور إلى طبيعتها.. ثم فسخت

www.elromancia.com

الخطوبة، واعتقدت أنني خسرتك إلى الأبد. أحببتك.. وصدمت في البداية، ولم أستطع أن أفكر جيداً، واضطررت إلى تركك لمصلحة روبي إذا كان هذا ما تريدين.

لمست خده بإصبعها، تتحسس توتر عضلاته. أمسك يدها ووضعها على فمه.

سألت:

ـ ثم.. غيرت رأيك؟

هز رأسه:

ـ ما إن تلاشت الصدمة الأولى، حتى لم أعد أستطيع الراحة إلى أن أجد وسيلة لاستعادتك. طرت إلى إيطاليا، ورأيت على الفور أن لا شيء يُذكر بينك وبين روبي.. ومنذ ذلك الوقت عاد لي الأمل بأن أستعيدك.

سخرت منه:

ـ يا لتواضعك.

ابتسم:

ـ حبي.. ردات فعلك المتحدية كانت عنيفة جداً فلم أستطع ادعاء عدم الاهتمام.. أستطيع محاربة العدوانية.. وأستطيع تدمير الكراهية.. لكنني أعترف أنني لم أكن متأملاً في البداية. لقد أبعدتني عنك طويلاً، لكنني أخيراً شعرت بأنني أقتحم الحواجز.. بعد أن عانقتك أصبحت واثقاً من هذا.. ردة فعلك فضحتك.

ابتسمت له، عيناها الخضراوان لامعتان بالضحك والحب.

ـ أعرفك أنني فضحت نفسي.. وغضبت لهذا وقتها.

ـ كنت غاضبة طوال الوقت.. غابي، أحبك أكثر حين تلمع عيناك الخضراوان كعيني قطة، وتنظرين إليّ وشعرك الأحمر يشتعل.. قد لا تكون حياتنا معاً مسالمة.. لكن، وحق الله، ستكون مليئة بالمناسبات!

نظرت إليه عبر رموشها، بعينين ممازحتين:

ـ ولن تحاول أن تملي إرادتك علي مرة أخرى، أو أن تتجاهل

احتجاجاتي، أو أن تضع النظام بنفسك مستهتراً بإرادتي؟

ظهر المرح في عينيه الزرقاوين.. خطوط وجهه المستقيمة مليئة بمرح وحنان.

ـ أوه.. أشك في أن أتغير بين ليلة وضحاها يا أعز الناس. فأنا من أسرة تايسون.. حفيد فيلبس، والتمرد في دمي.. لكنني أعدك بهذا: إذا صممت يوماً على إيقافي عند حدي.. سيكون في يدك سلاح لن يفشل.

امتلأت عيناها ضحكاً:

ـ أوه؟ وما هو؟

أحنى كايل رأسه وعانقها بلطف في البداية.. ثم بشوق متصاعد أدهشها وأسكرها.. تنهدت باستسلام.. وأسلمت نفسها إلى ذراعيه القاسيتين المتملكتين.. دون أن تنبث بكلمة واحدة.

* * *